وزراة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون – تيارت-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

فرع: الدراسات الأدبية تخصص: أدب حديث ومعاصر

مــذكـرة تخرج مقدمـة لنيل شهادة الماسـتر الموسومة ب:

صورة المرأة بين المثال والواقع في شعر نزار قباني

– مقاربة في الملامح والأنساق –

- جلاب صباح - بلمهل عبد الهادي

- بن لكحل جهيدة

لجنة المناقشة:

د. يعقوب زهرة	**د. محاضر درجة "أ" رئيسا**
د. خروبي بلقاسم	**د. محاضر درجة "أ" مناقشا**
د. بلمهل عبد الهادي	**أ.د. محاضر درجة "أ" مشرفا ومقرارا**

السنة الجامعية:

2020/2019

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة شكر وعرفان

الحمد لله الملك المحمود والمالك الودود مصور كل مولود ومال كل مطرود ساطع المهاد وموطد الاطراد ومرسل الأمطار وعالم الإسرار ومدركها ومدمر الأملاك ومملكها ومكور الدهر ومكررها ومورد الأمور ومصدرها لهه الشكر سبحانه وتعالى على توفيقه لنا لانجاز هذا العمل الذي نسال الله أن ينفع به.

كما نوجه أسمى وأغلى وأرقى معاني الشكر والامتنان وخالص العرفان والتقدير إلى الأستاذ المشرف الدكتور " عبد الهادي بلمهل " الذي أشرف على هذه المذكرة وساهم فيها بالرأي والنصيحة والتوجيه أثناء إعدادها، وعلى دعمه ومجهوداته الطيبة وتوجيهاته القيمة ومساندته المعنوية فجزاه الله خير الجزاء.

كما يسرنا أن نتقدم بالشكر الجزيل للأعضاء الكرام في لجنة المناقشة، دون أن ننسى أساتذتنا الكرام أساتذة الأدب العربي، الذين علمونا علوما نافعا طوال الدراسة في الجامعة.

وإلى كل طلبة الأدب العربي، وكل من ساهم في هذا العمل من قريب أو بعيد.

الإهداء

الحمد لله الذي وفقني لهذا العمل ولم نكن لنصل إليه لولا فضله، إلى من ربتني وأنارت دربي وأعانتني بالصلوات والدعوات، إلى أغلى إنسان في هذا الوجود أمي الحبيبة.

إلى من عمل بجد في سبيلي وعلمني الكفاح وأوصلني إلى ما أنا عليه أبي الغالي.

وإلى كل من احمل اسمه بكل فخر واعتزاز.

إلى القلوب الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي إخوتي(فؤاد، وأسامة)، وأختي العزيزة (زهيرة)، وإلى شموع الأمل "عماد، سندس".

إلى من رافقتني في هذا العمل صديقتي ورفيقة دربي "بن لكحل جهيدة".

إلى من ضاقت السطور من ذكرهم فوسعهم قلبي صديقاتي.

صباح

الإهداء

إلى من صبر وكافح لتأمين لقمة عيشي
ليراني ثمرة من ثمراته وجعل السعادة رمزا
يحمله قلبي إلى من رجائي ففي شدتي،
وعزائي إلى من كرَّس حياته في سبيل
إعدادي وإسعادي إلى أبي الغالي، وإلى أول
كلمة نطقها لساني إلى رمز العطف والحنان،
إلى من سكنت الفؤاد أمي نور دربي.
إلى جميع أفراد عائلتي الكريمة، إلى إخوتي"
محمد، أيمن "، وأخواتي"فاطمة، نادية، هبة
الرحمان".
إلى البراعم الصغار"محمد عماد الدين، فريال،
ألاء".
إلى من شاركتني القلق في دجى هذا الدرب
وأحست معي بكل لحظة انكسار لابد أن يقوى
أمامها الأمل إلى زميلتي " جلاب صباح".
إلى الذين أحببتهم وأحبوني صديقاتي
"فاطيمة، حياة، عبير "، وإلى كل شخص دعى
لي حتى في ظهر الغيب لكم الشكر جميعا.

جهيدة

مقدمة

الحمد لله الذّي خلق من كل شيء زوجين، وجعل المرأة شقيقة الرجل، وجعل بينهما مودة ورحمة، والصلاة والسّلام على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، الرسول الأمين الذي بلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة وكشف الله به الغمة وبعد:

طالما كانت المرأة ذلك اللغز الجميل الذي هام به كثير من الشعراء منذ قديم العصور، إلاّ أن سيظل عنوانها عنواناً هاماً، وموضوعها موضوعاً أساسياً من مواضيع الشعر العربي، حتى استحلت مكانة مرموقة في الشعر ككل، ولا سيِّما العذري.

إذ أخذت نصيبا وافرا عندهم فوصفوها بأجمل الأوصاف، وأعذب العبارات، وأرق المفردات، فأَعْلوْ من شأنها في شعرهم وصوروها في أسمى صورها من الأخلاق والحسن والجمال، فمنهم من كان عفيفا في وصفه، ومنهم من كان موغلا في الجنسية والإباحية، ولا يزال الشاعر العربي يتغنى بها إلى غاية يومنا هذا.

وقد اهتم مجموعة من الشعراء من بينهم نزار قباني، الذي يعد من أكبر عمالقة الألم والقلم الذي ذاع صيته في الوطن العربي بقضية المرأة وتطلعاتها، وأشاد بها في معظم أشعاره، فنزار جعل من المرأة جوهرة أعماله، لذا نجدها قد شغلت مساحات عديدة عنده، وذلك بفضل الأثر الذي تركته فيه، فتعددت صورها من صورة الأم الحنون، التي كان لها الفضل في وجوده وأساس حياته، وإلى صورة المرأة الزوجة، وإلى المرأة الحبيبة، وإلى العاشقة والمعشوقة، فتعالت لتسمو وتصل إلى حد القداسة.

فكان موضوع المرأة الشغل الشاغل لشاعرنا ظل يكتب عنها ما يقارب نصف القرن، حتى نعتوه بشاعر المرأة، وبذلك أردنا أن نعالج موضوع المرأة في شعر نزار قباني، وقد كان عنوان مذكرتنا موسوما ب" صورة المرأة بين المثال والواقع

في شعر نزار قباني مقاربة في الملامح والأنساق"، محاولين بذلك إبراز مكانة المرأة في الشعر العربي.

ولعلَّ من بين أهم الأسباب التي دفعتنا لاختيارنا هذا الموضوع، منها الذاتية ومنها الموضوعية، يمكن تلخيصها فيما يلي:

- تعلّقنا الكبير بالشعر قراءةً ودراسةً، خصوصا الحديث منه.
- الرغبة في الدراسات الشعرية والكشف عن الأغوار النفسية لهذا الشاعر.
- كون الشاعر من المقامات الشعرية التي لقيت نقدا كثيرا حول موضوع المرأة.
- جدية الموضوع واستحقاقه للجهد والبذل والعطاء، إذ أنّ الخوض والتغلغل فيه سيضيء لنا جانبا مهما ألا وهو المرأة، أمّا السبب الآخر هو تلبية لرغبة أستاذنا الفاضل الذي اقترح علينا الموضوع، وكان معنا سنداً في هذا البحث المتواضع.

ومن هذا المنطلق فإن البحث يطرح في هذا السياق مجموعة من التساؤلات نصت على الآتي:

- كيف كانت صورة المرأة في الموروث الشعري العربي القديم؟
- وهل كانت الصورة واحدة عند الشعراء القدماء والشعراء المحدثون، أم أن هناك اختلاف بينهم؟
- وكيف تجلت صورة المرأة عند الشاعر نزار قباني؟ وما دلالة حضورها في شعره؟

فقد حاولنا الإجابة على بعض الأسئلة، لكن الإجابة لم تكن هينة كما اعتقدنا في البداية، ومن أجل ذلك ارتأينا أن نقسم بحثنا إلى ثلاثة فصول تسبقهم مقدمة وتليهم خاتمة.

الفصل الأول: تناولنا فيه صورة المرأة المثالية والواقعية في الشعر العربي القديم، فقد تطرقنا في العنصر الأول إلى صورة المرأة المثالية في الشعر الجاهلي، ومفهوم المثالية في اللغة والاصطلاح، ولوحة فنية لصورة المرأة المثال في الشعر

الجاهلي، أمّا العنصر الثاني عالجنا فيه مفهوم الواقعيـة، وصـور المرأة الواقعية، وكذا لوحة فنيـة شـعرية للمـرأة الواقعيـة فـي الشعر العربي القديم.

أمّا الفصل الثاني، عالج صورة المرأة في شعر نزار قباني في عناصر، ففي العنصر الأول حاولنا أن نوضح حضـور المـرأة في القران الكريم والسنة النبويـة، أمّـا العنصـر الثـاني تطرقنـا فيه إلى دراسة صورة " المرأة الأم "، وإبراز مكانتها عنـد نـزار قباني، ومدى حبه لها وتعلقه بها، ثم يأتي العنصر الثـالث الـذي تحدثنا فيه عن صورة " المرأة الزوجة " عنـد نـزار قبـاني الـتي أحسن الكتابة عنها، ودعمنا ذلك بشواهد من شعره.

أمّا الفصـل الثـالث فقـد كـان بعنـوان صـورة المـرأة بيـن المثالية والواقعية في شعر نزار قباني، حيث تناولنا في العنصر الأول صورة المـرأة المثاليـة فـي شـعر نـزار قبـاني، والعنصـر الثاني صورة المرأة الواقعية فـي شـعر نـزار ، وصـورة المـرأة البغي، والمرأة العاشقة والمعشوقة.

وقد أنهينا عملنـا هـذا بخاتمـة اشـتملت أهـم النتائـج الـتي توصلنا إليها من خلال دراستنا لشعر نزار قباني.

هذا فيما يتعلق بخطة البحث، أمّا عن منهج الدراسة الـذي اتبعناه هو المنهج الوصفي التحليلي كـونه مناسـبا لسـير أغـوار هذا الموضوع، والذي يقوم على الاستقراء والتحليـل والمقارنـة والاستدلال.

وقد اعترض سبيلنا عدة صعوبات وعراقيـل، ولا شـك فيـه أن مدّة العمل قد طـالت وربمـا كـثيراً، وذلـك نتيجـة الظـروف التي عاشـتها البلاد مـؤخرا، ممـا جعلتنـا نتـأخر فـي بحثنـا هـذا، وكذلك قلة المصادر والمراجـع، بالإضـافة إلـى قلـة الدراسـات السابقة في موضوع المرأة خاصة في الشعر، وحتى إن وجدت دراسات فهي في الشعر القديم، الجاهلي، أو الإسلامي، وكثرة وتشعب الآراء المتعارضة والمتباينة حول شعر نزار قباني.

ومن أجل الإلمام بموضوع البحث والتوغّل فيه أكثر استعنا في عملنا هذا بجملة من المصادر والمراجع المتنوعة التي كـان لهـا الـدور الفعـال فـي إمـدادنا بالمـادة اللازمـة الـتي يحتاجهـا البحـث، نـذكر منهـا الصـورة فـي الشـعر العربـي لعلـي بطـل، والمرأة في شعر نزار قبـاني لصـلاح الـدين الهـواري، وشـعرية المـرأة وأنوثــة القصـيدة لأحمـد حيـدوش، الأعمـال الشـعرية الكاملة، قصتي مع الشعر، المرأة في شعري وفي حياتي لنزار قباني...

ولا أنسى في الختام أن أتقدم بجزيل الشكر إلى اللـه عـز وجلّ الذي وفقنا في إتمام هـذا البحـث المتواضـع، كمـا أسـدي آيات الشـكر والعرفـان لكـل مـن سـاهم معنـا، وعلـى رأسـهم الـدكتور "عبـد الهـادي بلمهـل" الـذي كـان لنـا الشـرف الكـبير بإشرافه على هذا العمل ومتـابعته لمراحلـه، وحسـن توجيهـاته السـديدة، ومهمـا عـددنا مناقبـك فلـن تفـي كلمـات الشـكر والامتنان حقك فشكرا لك -أستاذنا المحترم- على صبرك.

وكذا الشكر موصول إلى كـل مـن سـاعدنا مـن قريـب أو بعيد وكان عونا لنا، فأسماؤكم عالية وفي القلـب غاليـة، فلكـم منا أسمى عبارات الشكر والتقدير، فليحفظ الله كل مـن سـدد خطانا، ويبقى التوفيق من عند الله والتقصـير مـن طبـع البشـر والكمال لله سبحانه وتعالى.

الفصل الأول:

صورة المرأة بين المثال والواقع في الشعر العربي القديم

الفصل الأول: صورة المرأة بين المثال والواقع في الشعر العربي القديم

أولاً: صورة المرأة المثالية في الشعر الجاهلي:

لقد ظلت المرأة ولا تزال على مر العصور محور اهتمام الشعراء يتخذونها موضوعا لما تجود به قرائحهم، واصفين إياها بأرق وأجمل العبارات والقصائد، لذا فهي الأم، والزوجة، والأخت، والعشيقة، وهي رمز للنماء والخصب، ومكمن الأنوثة.

حيث شكلت المرأة موضوعا مهما من مواضيع الشعر العربي، واعتبرت رمزا من رموز القصيدة، فتارة كانت الجسد، وتارة كانت الوطن، وتارة أخرى كانت المحبوبة، وخير دليل على ذلك النصوص الشعرية الواصلة إلينا من الحقبة الجاهلية، التي حفلت بموضوع المرأة ووصف كل ماله صلة مباشرة أو غير مباشرة بها، فنجد الشاعر الجاهلي تغنى بالمرأة من خلال صفاتها وخصالها ومن حيث ملامحها وصورتها المادية، فراح يصف قوام المرأة بين السمنة والاعتدال، وبياض البشرة وسمرتها، واستحكام العقل وفصاحة كلامها، بل وشجاعتها ساعة نزول المحن والشدائد.

ولا زالت المرأة ملهمة الأدباء والشعراء منذ العصر الجاهلي، حتى نزار قباني ممثلة بذلك حيزا ثلاثيا الأبعاد (الجسد، الأنوثة، الهوية)، إذ كانوا في القديم يشبهون المرأة بالشمس وهي سر البقاء والوجود، ويشبهونها بالمهاة والنخلة، وذلك ليس لسبب طولها وسمقها، ولكن لسبب واحد يتمثل في أن "النخلة كانت رمزا للخصب والنماء" آنذاك.

حيث ذهب الدكتور "علي بطل" إلى تفصيل ظاهرة الميلاد التي كانت تواجه الجاهلي في حياته البدائية، ذلك أن البدائي قد ربط سر الخصوبة في المرأة بسر الخصوبة في الأرض؛ وإذ كانت الأرض رمزا للخصب والنماء؛ فاتخذوها إلاها لهم؛ ورمز لها في الدين القديم» بالآهات الأمهات ...« .[1]

---

[1]- علي بطل، الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الهجري ودراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1401ه_1981م، ص 55.

كما أشارت (هوارية لولاسي) إلى ذلك بقولها "النخلة قرينة الخصوبة والأنوثة .... ".[1]

ومن هنا يتضح لنا أن صورة المرأة المثالية في الشعر الجاهلي كانت مقرونة برسالة تعمير الكون، وتحقيق وظيفة الخصوبة والأمومة، ولكن لتحقيق هذه الوظيفة لابد من توفر عدة شروط لدى المرأة من بينها البدانة حيث أن "الشاعر صور حبيبته بدينة سمينة ضخمة الأوراك عظيمة العجز، وذلك لتأثره بالقيم الجاهلية، فبدانة المرأة دليل على ترفها وغناها وارستقراطيتها... ". [2]

وهذا ما يبرز لنا شجاعة الشاعر في الوصول إلى نساء الطبقة الراقية من قبيلته، ويأخذ "علي بطل " كذلك في تحليل "المرأة الجسد" فيستجلي ملمح امتلاء الجسد ويلاحظ أن حركة جسد المرأة اقترنت بالبدانة، إذ كلما حاولت المرأة القيام أو المشي فعلت ذلك بإجهاد وتثاقل...".[3]

فقد عرف المجتمع الجاهلي طائفة من الشعراء العشاق أطلق عليهم باسم "الميتمين"، حيث ربطوا بين كل واحد منهم وصاحبة له، عرف بها وعاش من أجلها ومات من أجلها، ووهب حياته وفنه لها، وبحكم طبيعة العربي وبيئته التي فرضت عليه الحل والترحال، مما جعله ذلك يهيم شوقا للقاء محبوبته، واصفا بذلك الحنين والشوق الذي اعتراه من جراء فراقه لها، والذي أطلق عليها باسم "النسيب"، وترد كلمات النسيب والغزل والتشبيب بمعنى واحد، إذ يرى ابن رشيق القيرواني في قوله: "إن التغزل ألف النساء والتخلق بما يوافقن.. "[4]، وبمعنى أخر أن النسيب والغزل كلها تؤدي إلى مصب واحد ألا وهو الحب.

---

[1]- هوارية لولاسي، المعتقد الديني في الشعر الجاهلي، مجلة حوليات التراث، ع 1، مستغانم، 2004، ص 1.

[2]- إميل ناصف، أروع ما قيل في جمال المرأة، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، ص 5.

[3]- علي بطل، الصورة في الشعر العربي، المصدر السابق، ص 55.

[4]- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج 2، تحقيق ونشر محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، ط 4، 1972م، ص 117.

وفي عالم الحب ودنيا العاطفة صورتان طبيعيتان من صور الحب:

1- حب حسي يفتن الرجل بالمرأة من حيث هي أنثى تحقق له المتعة واللهو وإرضاء الحواس، فتنة تدفعه إلى طلب الجنس عموما، لأنه يرى فيه الوسيلة لتحقيق المتعة، فالمرأة عنده ليست غاية للحب ولكنها وسيلة إليه، وهو بهذا لا يقف حبه عند واحدة يهب لها قلبه وحبه وإخلاصه ووفاءه، ولكنه ينتقل من واحدة إلى واحدة، وكأن الأنثى هنا خلقت للمواقعة فقط.

2- حب روحي يتعلق فيه العاشق بمحبوبة واحدة، فيرى فيها مثله الأعلى الذي يحقق له متعة الروح ورضا النفس، واستقرار العاطفة، وهو استقرار يجعل فتنته بواحدة تقف عندها أماله، وتتحقق فيها كل أمانيه، فهي الهدف الذي يطلبه، والغاية التي يسعى إليها ...."[1].

إذ تعتبر الأنثى هنا مثالا وتمثالا للحب، كما أفردت المختارات الشعرية الجاهلية بابا مستقلا للنسيب وصف فيه الشعراء المرأة من حيث الجوانب الثلاثة:

1/ الصفات الجسدية المادية والحسية.

2/ الصفات المعنوية العفيفة.

3/ المرأة الشكل أي زينة المرأة.

ومن بين الصفات الحسية الجسدية التي وصفها الشعراء الجاهليون كما يلي: (الوجه، لون البشرة، العنق، العيون، الخد ،الأسنان، الثغر، الأفخاذ، القدم، الخصر، الشعر، البطن، العجيزة....).[2]

أما عن وصف المحاسن الخلقية المعنوية النفسية ومكانة الحب العفيف بين الرجل والمرأة فيأتي في المرتبة الثانية بعد

---

[1]- يوسف خليف، الحب المثالي عند العرب، دار القبة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عبده الغريب، (د.ط)، (د.ت)، ص 11.

[2] - منذر ذيب كفافي، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية، دراسة في شكل والمضمون، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، مقابل جوهرة القدس، ط 1، 2006، ص 162 .

الوصف المذكور سابقا وسبب وجـود مثـل هـذا الشـعر حسـب رأي الـدكتور أحمـد الحـوفي يكمـن فـي: "أن الأخلاق العربيـة قامت على دعائم منها الاعتزاز بالشرف، والحرص على حسـن الأحدوثة، وسمعة الأسـرة وصـيانة المـرأة، فكـان لابـد للرجـال والنساء من العفة والتعفف".[1]

وتأسيسا عما سبق ذكره نستنج أن الصورة المادية للمرأة هي الطاغية في المختارات الشـعرية، والـتي وردت فيهـا عـدة صفات سماها الشاعر الجاهلي بصفات المثالية للمرأة، ومادمنا بصدد دراسة صورة المرأة المثـال كـان لزامـا علينـا أن نعـرف بالمثالية أولا.

1- مفهوم المثالية في اللغة والاصطلاح:

أ/ مفهوم المثالية لغةً:

جاء في لسان العرب لابن منظور أن " المثالية من المثـل والمثيـل كالمثـل والجمـع أمثـال، وهمـا يتمثلان، وقـولهم فلان مسترد لمثله، وفلانة مسـترادة لمثيلهـا، وقيـل معنـاه مسـترد مثله أو مثلها واللام زائدة، والمثـل الحـديث نفسـه، وقـوله عـز وجل (و الله المثل الأعلى) جاء في التفسير أنه قوله لا إلـه ألا الله تـؤيله أن اللـه أمـر بالتوحيـد ونفـى كـل إلـه سـواه، وهـي الأمثال، ومثل الشئ أيضا صفته، والمثال هو المقدار وهـو مـن الشبه ما جعل مثالا أي مقدارا لغيره ".[2]

أمـا فـي المعـاجم العربيـة فنجـد عنـد مجـدي أن المثاليـة تعني: " إن المثاليـة فـي الاسـتعمال المجـازي كقولـك شـخص مثـالي أي أنـه الشـخص الـذي تجتمـع فيـه صـفات معينـة كـأنه

---

[1] - أحمد العوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، القـاهرة، ط 2، سـنة 1963، ص 74 .

[2] - ابن منظور، لسان العرب، المجلد 14، محققة دار الصـادر، طبعـة جديـدة، بيـروت- لبنـان، 1823م، ص 19- 20.

خلاصة مركزة لها، فيقال مثلا فلان مثال الكرم أو البخل، والإنسان مثال للعالم الذي يعيش فيه ".[1]

ب/ مفهوم المثالية اصطلاحاً:

يسعى المجتمع الإنساني عموما وراء ما يسمى بالكمال، بصفته مجتمع ناقص وغير مستقر، ولكن صفة الكمال لا تكون إلا للمولى عز وجل، وغالبا ما يكون هذا السعي فطريا، بحيث أن الساعي دائما يطمح إلى أن يكون الأفضل في جنسه أو نوعه، وبالتالي يحقق الغاية المطلوبة المتجلية في المثالية.

إن المثالية من أهم الموضوعات التي وقف عليا النقاد لكل رأيه الخاص "فمنهم من يرى أن المثالية هي ما يمكن أن يأتي في مقابل المادية أو الحسية كالحب والجمال، والحسب والكرم، بالنظر إلى صفات الوجود المادي الذي نراه بأعيننا ".[2]

كما تحمل المثالية دلالات مختلفة في ميادين مختلفة كالفلسفة والأخلاق ونظريات الفن والأدب.

فالمثالية في الأخلاق هي "ذلك الميل إلى الاعتقاد بأن المثل العليا نبيلة، التي لها مكان ممتاز في نفس الإنسان كفيلة بالإصلاح ما هو شر وخسيس المجتمعات الإنسانية ".[3]

ويذهب محمود كحيل في أنه " إذ كان المثال هو النموذج الذي يقدر على مثله، وهو الشخص أو الشيء الذي يتضمن مجموع الصفات الكاملة، في جنسه أو نوعه، فيعد بذلك مثلا أو نموذجا كاملا، فإن المثالي المنسوب إلى المثال هو أيضا أو ما يفترض يتحقق فيه الكمال بجوانبه، وصفاته المتعددة ".[4]

أما المثالية في باب الشعر العربي القديم، فهي أن يعطي الشاعر للممدوح (المرأة مثلا) الصفات التي تجعله يرتفع إلى

---

[1]- مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (د. ط)، (د. ت)، ص 331.

[2] - عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعر نزار قباني مقاربة في الملامح والأنساق، دار النشر نور، (د. ط)، سنة 2017، ص 59.

[3] - عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ج 2، بيروت 1984م، ط 1، ص 438 .

[4] - محمود كحيل، المثال أو النموذج بين الإنساني والإلهي في الفكر الحضاري القديم،، عالم الفكر للنشر والتوزيع، مجموعة 21، ع 1، 2002 م، ص 132.

درجة الكمال أو المثال، وحسب دراستنا لصورة المرأة المثالية، نستنتج أن المثالية هنا ما هي إلا تصور الشاعر نموذجا أنثويا كاملا حسب ما يرضيه هو، وذلك بتحديد مجوعة من صفات أنثوية مادية كانت أو معنوية، كالجمال والقوام وحسن الكلام والعفة التي تعتبر مقياسا للقيم العليا في المجتمعات المحافظة في صورة واحدة.

إن الشاعر هو حامل الروح البشرية بإحساسه ومشاعره التي استطاع أن يتخطى بها الواقع ويسعى إلى المثالية وذلك من خلال خلق نموذج مثالي أنثوي جسد فيه خيالاته وأحلامه المختلفة خاصة في باب الغزل.

فرسم الشعراء العرب منذ العصر الجاهلي حتى للعصر الأموي امرأة واحدة للجمال الأنثوي المثالي، لم تختلف أوصافها عند جميع الشعراء آنذاك، إلاّ في تفاصيل صغيرة، فترى كيف صور الشاعر الجاهلي المرأة المثال في شعره؟.

لعلَّ الشعر الجاهلي والمعلقات على وجه الخصوص كفيلة للإجابة على هذا التساؤل، حيث أنّ شعراؤنا القدامى تغنوا بالمرأة بها ولها، كما أنهم يروا في " قوام المرأة من جمالٍ ما يغري ومن حسنٍ ما يفتن، وإدراك ما في قوام المرأة من جمال لا يكلف العربي الكثير لأن المرأة مهما حرصت على إخفاء مغارتها ومداناة جمالها فإنها لا تستطيع أن تخفي ذلك من قوامها ".[1]

وتعتبر هذه الصورة المادية، لقوامها المرأة من الصور المهمة لدى الشعراء، حيث أنهم وقفوا عند الشكل الخارجي لمحبوباتهم، فوصفوهن وتحدثوا عن مفاتنهن في قصائدهم بدقة متناهية.

[1] - خليل محمود عودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، دار الكتب العلمية، (لبنان) ط 1،1998 م، ص 107.

الفصل الأول: صورة المرأة بين المثال والواقع في الشعر العربي القديم

ولعلّ امرئ القيس كان المثال الأعلى الذي احتـذاه سـائر شعراء عصره في وصفه لمفاتن المرأة، فها هو يصـفها ويقـول فيها:

فيَّا رُبَّ يومٍ ناعمٍ قدْ * بمرتجَّةِ الحَاذَيْنِ مُلْتَفَّةِ**
لَهوتُهُ * الحَشَى**
بَرْهَرهَةٍ كالشَّمْسِ * تُضِيءُ ظَلامَ البَيتِ في**
في يومِ صَحْوِهَا * لَيلةِ الدُّجَى**
أَسِيلةِ مُسْتنٍّ الوِشَاحِ تَكَسَرَّ في أَوْرَاكِها هَابِرُ
كأنَّها النَّقَا
مُضَخّمَةِ الأرْدافِ لَطيفَة طَيِّ الكَشْحِ
سَهْلٌ حَديثُها وهنَانة الخُطا[1]

ومن هنا يتضح لنا جلياًّ أن امرؤ القيس جعل المرأة مجـرد كمتعة ولهو لا أكثر، حيت راح يؤكد لنا على الخصـوبة (بارتجـاج الحاذين)، وكذا في قوله (تكسـر أوراكهـا)، أمّـا الـوجه فربطـه بالشمس مباشرة، وذلك لرمزية الشمس بالآلهة المعبودة، كما نجـده أيضـاً يركـز علـى منـاطق الأنوثـة فـي قـوله (مضـخمة الأرداف)، أي أنَّهـا كـثيرة الاهـتزاز لضـخامة جسـدها، و(هنانـة الخطى)، أي أنَّ حركتها تشبه حركة الرمل المتموج.

ولا شك أن هذا التصوير للمرأة المثال عنـد امـرئ القيـس ما هو إلا تصوير جسدي بحت، خـالي مـن ملامـح الـوجه، حيـث ربطهـا بالشـمس مباشـرة، ثـم انصـرف إلـى إكمـال الملاح الجسدية لدى المرأة المثال، وهذه الصورة كثيرة الشـيوع فـي الشعر العربي القـديم بحيـث يكـاد لا يخلـو منهـا أي شـعر فـي مرحلـة مـا قبـل الإسـلام، يمكـن أن نطلـق عليهـا ب"الصـورة المثالية للمرأة"، وهي بذلك صورة لا تتعلق بامرأة بعينهـا إلاَّ أنّ عناصر هذه الصورة تتواتر عند شعراء وتسير على نسـقٍ واحـد

[1] - امرئ القيس، الديوان، حققه وبـوبه وشـرحه وضـبط بالشـكل أبيـاته (حنـا الفـاخوري)، دار الجيل، ط 1، 1309ه - 1989م- ص 368.

مما يجعل صورة المرأة في الشعوب أقرب إلى أن تكون نسخة مكررة في أصل واحد.

يقول عمرو بن كلثوم في معلقته:

ذِراعِي عَيْطَلِ أَدْماءِ بِكْرٍ * هَجَانِ اللَّونِ لم تَقْرأُ جبينَا**
وثَدْيٌ مثْل حَقِ العَاجِ رُخصاً * حِصَاناً مِنْ أَكفِ اللاَّمِسِينَا**
ومَتني لَدنةٍ سَمقتْ وطَالتْ وَلينَا.[1] رَوَادِفُهَا تَنُوءُ بهَا

وفي هذه الأبيات وصف لضخامة المرأة فهي ذات ذراعين ممتلئتين لحما كذراع الناقة، كما يلمح الشاعر بطولها وسمقها كشموخ النخلة وعلوها .

وقد كانت للمرأة مسميات عديدة في الشعر الجاهلي، إذ شاعت باسم مثل " أم أوفى "، "أم عمرو"، "أم وليد"، "أم أبان"، "أم جندب"، أميم"، "أم حويرث"، وهي أسماء لا تجري على حقيقتها.

وفي هذا المقام يقول امرؤ القيس أيضا في تشبيه لأم الحارث الكلبية .

كَدأْبِكَ مِنْ أُم الحَويرث قبلهَا * وجاراتها أُم الرِّبابِ بمأسَلِ.[2]**

وإذا أردنا أن نستزيد بنموذج آخر فنذكر طرفة بن العبد البكري الذّي راح يصور محبوبته وفق النموذج المحتذى فقال:

وفِي الحيِّ أحْوى * مُظاهرُ سِمْطِي**
ينَفُضُ المرْدَ شادنٌ * لُؤلوءٍ وزَبرْجدِ**
خُدولٌ تُراعي ربْربَا * تنَاولُ أطرافَ البَربرِ**
بخميلةٍ * وتَرتَدِي**
وتبْسِمُ عن ألمي... تخلل حَرِّ الرَّمْلِ

---

[1] - أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت)،ص 169.

[2] - امرئ القيس، الديوان، المصدر السابق، ص 33.

كأنّما منوراً ودَعْصِ لهُ نَدِي
سَقَتْهُ أَياة الشَّمْسِ أُسِفَّ ولَمْ تُكدِمْ عليه
إلاَّ لثاته بإثْمِدِ.[1]

وهنا نجد أن الشاعر قد ربط المرأة عدة تشبيهات منها "الأحوى" والتي تعني الظبية، و"بالشمس" أيضا، وذلك لنظارة وجهها، فهو يرى أن الجمال في سر إشراقها وطول جيدها واعتدال قامتها.

2- لوحة فنية شعرية لصورة المرأة المثال في الشعر الجاهلي:

إن المرأة هي عالم الجمال، ومما لاشك فيه أن الجمال من المؤثرات التي يستجيب لها أي إنسان، وخاصة الشاعر، فهي تولد له اتصالا مباشرا بكيانه وعواطفه، فتجعله يهيم بها سحرا، وترتوي نفسه من ينابيع جمالها وجاذبيتها.

لقد كانت صورة المرأة الممتلئة الجسم التي تميل إلى البدانة من الصور المهمة في نظر الإنسان القديم، باعتبارها تحقق الوظيفة التناسلية والخصوبة الجنسية، فهي بقوامها وضخامة جسمها مؤهلة إلى أن تؤدي رسالة الإنجاب، وظلت هذه النظرية عالقة في ذهن العربي في تقييمه للمرأة زمنا طويلا، فرسمها الشعراء الجاهلين بالتفصيل في صورة مادية جسدية تمثلت فيما يلي:

أ/ صورة المرأة المادية:

1_ العنق أو النحر:

يعتبر العنق من معالم الجمال لدي المرأة، وهو من الصفات الأنثوية المحبذة لدى الشعراء، "حيث أنّ العرب أحبوا المرأة ذات العنق الطويل الجميل، وشبهوها بجيد الظبية، وبإشراقة الشمس، وبإبريق الفضة، وبرخام المرمر، وكنوا عن

[1] - ابن الانباري، ابن أبي بكر بن قاسم، شرح القصائد سبع الطوال الجاهليات، ضبطه وعلق حواشيه وصنع فهرسه وقدم له (بركات يوسف مجود)، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، ط 1، 1423هـ- 2002 م، ص 148.

المرأة الطويلة العنق بقولهم "بعيدة مهـوى القـرط"، وسـميت أيضا بالجيداء، وعيبت المرأة صقيرة العنق أو غليظتـه، وكـذلك طويلته أي الطول المفرط.[1]

وفيه قال امرؤ القيس:

وجِيدٍ كجيدِ الرِئْمِ * إذا هِيَ نصَّتْهُ ولا ليسنَ بفاحشٍ بمُعَطَّلِ[2]**

ويبدو التشبيه هنا واضح في قوله (كجيد الريم) أي الظبية، فهو يصف المرأة حينما ترفع عنقها، ويظهـر معطـل، أو عاطـل أي لاحلية فيه.

2- الصدر أو النهد:

يعتبر صدر المرأة من أهم مقومات الجمال وأكثرها بـروزاً وفتنةً، فهو مكمن الأنوثة، ومنبع الأمومة، حيث شبهه «الشعراء بالكثير من الأشياء بالرمانة في استدارته، وبحـق العـاج لبياضـه وصـلابته، وبالحمـام، وبـالمرمر، وبالثمـار، وقـد سـمى بعضـهم النهدين ثمار النحور".[3]

وفيه قال الأعشى الكبير:

قَدْ نَهَدَ الثَّدْيُ على صَدْرِهَا * في مُشْرِقٍ ذِي صَبحٍ نائرِ**

لَوْ أَسَنَدْتَ ميتاً إلى نَحْرِهَا عاشَ ولمْ ينقلْ إلى قَابِرِ[4]

---

[1] - إميل ناصف أروع ما قيل في جمال المرأة، المرجع السابق، ص 8.

[2] - امرئ القيس، الديوان، المصدر السابق، ص 39.

[3] - إميل ناصف، أروع ما قيل في جمال المرأة، المرجع السابق، ص 72.

[4]- الأعشى الكبير، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق د.محمد حسين، مصر، (د.ط)، 1950م، ص 139.

وهنا يظهر لنا أن الأعشى يجمع بين المسميات الثلاث (الثدي/ الصدر/ النحر)، كما شبه الصدر بالإشراق لبياضه وبأنه يعيد الحياة إلى الميت إذا ما أسند عليه.

كما أن للصدر ثلاثة مكامن جمالية وهي:

أ/ **الترائب**: ويقصد بها أعلى الصدر وفيها قال امرؤ القيس :

مُفَهْفهةٍ بيضاءٍ غيرُ مُفاضَةٍ * ترائِبُها مَصقُولَةُ كالسَّجَنْجَلِ[1]**

وهنا يصف شاعرنا محبوبته بأنها بيضاء اللون ومفهفهة، أي أنها لطيفة الكشح ضامرة الخصر، أما عن ترائبها والذي يقصد به موضع القلادة، كأنه مصقول كالسجنجل، أي المرأة وهي كلمة رومية عربتها العرب، فامرئ القيس قد جعل المرأة مجرد متعة ولهو لا أكثر.

ب/ النهود (الثديين): فضل بعض الشعراء النهد الذي يملأ الكف والبعض فضله أكبر من ذلك، وفيه قال عمرو ابن كلثوم :

وثَدْيٌ مِثْلَ حَقِ العَاجِ رخصاً * حِصاناً من اَكَفِ اللاَّمسينا.[2]**

ج/ ما بين النهدين: وهو مكمن جمالي أحبه الشعراء الجاهلين.

3- البطن:

احتل البطن وجدان العرب والشعراء بصفة خاصة، فأحبوا منه السمين الممتلئ، وشبهوا طياته بالأقمشة، وبالرمل والأمواج، ومنهم من أحب البطن الضامر النحيل، ويعتبر البطن مكمن الإثارة والإغواء، حتى وإن حاولت الأنثى حجبه إلا أن الشعراء لم يخفى عنهم، "فسموا المرأة ضامرة البطن

---

[1] - امرئ القيس، الديوان، المصدر السابق، ص 37.

[2] - الزوزني، شرح المعلقات السبع، المرجع السابق، ص 169.

بالهيفاء، ووصفوها بالمهضومة الكشح، كما شبهوا البطن بالعاج وبالثلج وقراطيس المدرجة". [1]

وفيه قال امرؤ القيس:

لَطِيفَة طيّ الكَشْحِ * إذا انتهَكَتُ مُرتَجَة**
غيرَ مُفاضَةٍ مِثْقالِ.[2]

حيث يصف امرؤ القيس هذه المرأة بأنها ضامرة الكشح، غير بدينة في موضع الخصر .

ويتغنى بشر بن أبي خازم بإضمار البطن فيقول :

نَبيلةُ مَوْضعِ الحِجْلَينِ * وفي الكِشْحَينِ**
خُودٌ والبطنُ اضْطِمَارُ.[3]

ويقول النابغة الذبياني أيضا :

والبَطْنُ ذو عُكِنٍ، * والإثْبُ تَنْفجُهُ بثَدْيٍ**
لطيفٌ طيِّهُ مُقْعَدٍ.[4]

4- الخصر:

أحب العرب من الخصور الضامر والنحيل الناعم، فالخصر هو ذلك الحزام الذي يفصل بين أعلى الجسد وأسفله، وفيه قال طرفة بن العبد البكري :

ولها كَشَح مَهاَة * رِي بالرَّمْلِ أَفْناَن**
مَطْفَل تَفْتَ الزَّهْرِ.[5]

وهنا يشبه خصر حبيبته بكشح البقرة، كما شبه الشعراء الخصر النحيل بتشبيهات عديدة منها "السير المعدول، الخاتم،

---

[1] - إميل ناصف، أروع ما قيل في جمال المرأة، المرجع السابق، ص 18.

[2] - امرئ القيس، الديوان، المصدر السابق، ص 30.

[3]- بشر بن أبي خازم الأسدي، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق دكتورة (عزة حسن)، ط 1، دمشق، 1970م، ص 222.

[4] - النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، اعتنى به وشرحه، حمدُو طماس، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1426 ه - 2005م، ص 39.

[5] - طرفة بن العبد البكري، ديوان طرفة بن العبد البكري، تحقيق درية خطيب ولطفي السفال، دار الكتاب الجديد، ط 1، 1958م، ص 52.

وأوساط الزنانير، وهو ضامر ومريض، وسقيم .... وقالوا إنه يكاد يتقطع، ويكاد يتقصف، ويكاد ينكسر ....."[1].

5- الردف:

تعتبر الردفان بؤرة الشهوة عند العربي، وأكثر ما تمتاز به المرأة في المخيال العربي، وأحب العربي منهما الضخمة، والممتلئة لحما، واعتبروهما، علامة من علامات الأنوثة، وشبهوها بكثيف الرمل، والدعص، والموج، وفيهما قال النابغة الذبياني:

مخطُوطَةُ المَتْنَينِ، غَيْرَ مَفَاضَةٍ * ريّا الرَوَادِفِ، بَضَّةُ المتجرِّدِ.[2]**

6- الساقان:

كان الشاعر الجاهلي يحبذ المرأة لضخامة جزئها السفلي وامتلاء ساقيها،" فالشاعر قيس ابن خطيم ينعت ساقي المرأة برديتين نسبة للنبات البردي المائي".

و يتغنى عنترة بامتلاء ساقي حبيبته في قوله :

وكُلُّ كَعاَبِ خِدْلَةٍ السَّاقِ فَخمةٍ * لَهَا مَنْصِبٌ في آلِ ضَبَّةِ طامِحُ.[3]**

والمرأة الخدلة هي الممتلئة الساقين والذراعين، أما الأعشى الكبير فنعت ساقي المرأة بكثرة اللحم إلى درجة الخلخال يتدحرج منهما في قوله :

وسَاقانِ مَارَ اللَّحْمُ مَوْراً عَلَيْهِمَا * إلى مُنْتَهَى خِلْخَالِهَا الُمَتصَلْصِلِ.[4]**

ويتضح لنا من خلال هذه النماذج الشعرية أن صفة امتلاء الساقين لدى المرأة هي صفة متميزة ومحبذة للشعراء،

---

[1] - إميل ناصف، أروع ما قيل في جمال المرأة، المرجع السابق، ص 51.

[2] - النابغة الذبياني، الديوان، المصدر السابق، ص 39.

[3] - يوسف الحناشي، مقومات الذوق الجمالي العربي، مركز النشر الجامعي، (د.ط)، 2002م، ص 60.

[4] - الأعشى الكبير، الديوان، المصدر السابق، ص 68.

فالشاعر الجاهلي بقدر ما يحبذ الرقة والاتساق مع الضمور الأعضاء الجسدية العليا، فإنه يميل إلى ضخامة الجزء السفلي.

7- العجيزة:

تعتبر العجيزة من أهم المقومات المرأة الجميلة، فلم يكن الاهتمام بجسم المرأة حديثا، بل كان منذ العصور الأولى القديمة كالعصر الجاهلي، حيث حملت العجيزة أو المؤخرة تسميات عديدة عند العرب القدماء في آدابهم من أشعار ونثر مأثور، فسميت المرأة التي ترتج عجيزتها وهي تمشي ب " المرمورة "أو" المرمارة"، كما أطلقوا على المرأة التي تخرج عجيزتها ليراها الناس ب" البزواء "، إذ نجد أن العرب كانت يفضلن المرأة الرفيعة من الجزء العلوي والممتلئة من الجزء السفلي، وعند امتلاكها لهاتين الميزتين تصبح المرأة مثالية فيتقدموا لها بالزواج.

ومن الشعراء الذين تغزلوا بالمؤخرة نجد لبيد ابن العامري الذي تحدث عن روافد حبيبته فقال :

وفي الحُدُوجِ عروبٍ * رَيّق الرَوافِد يَعْشَى**
غَير فاحِشَةٍ دُونهَا البَصَرُ[1]

وينعت عنترة العبسي ثقل عجيزة حبيبته فيقول :

ورِدْفٌ لَهُ ثِقلٌ وخَصْرٌ * وخِّدٌ بِهِ وَرْدٌ وسَاقٌ**
مُفَهْفهف خِدلَجٌ[2]

ب/ الصورة الأخلاقية للمرأة:

- **عفة المرأة وحياؤها:**

إن الخجل من أجمل الأخلاق وأرق الصفات المطلوبة في المرأة، الحياء وليس المراد به الخجل، وإنما أن تستحي المرأة من أي فعل قد يجذب انتباه الرجل إليها، فهذه الصفات

[1] - لبيد ابن أبي ربيعة العامري، الديوان، تحقيق وتقديم (إحسان عباس)، الكويت، (د.ط)، 1962م، ص 61.

[2] - عنترة العبسي، الديوان، دار الصادر، بيروت، ط 1، 1958 م، ص 101.

الجمالية الأخلاقية تدعم لنا صورة المرأة المثال في الشعر الجاهلي، فنجد الكثير من شعراء الجاهلين الذين وصفوا المرأة العفيفة التي تصون عرضها وعرض بعلها أمثال الأعشى في قوله:

لَيْسَتْ بِسَودَاءٍ ولَا عُنْفُصٍ * تسارِقُ الطَرْفَ إلى الدَّاعِرِ.[1]**

العنفص التي تعني المرأة البذيئة قليلة الحياء.

أمّا عن علقمة فهو يصف المرأة التي تحمي عرض زوجها في غيابه فيقول :

إذا غَابَ عَنْهَا البَعْل * وتُوصِي إِيَّابَ البَعْلِ**
لَمْ تَفشِي سِرَّهُ حِينَ يؤوبُ[2]

ومن الشعراء أيضا من يصف قلة كلام محبوبته، وفي هذا المقام نذكر امرئ القيس الذي يتغنى بندرة كلام محبوبته فيقول:

فَتورُ القِيَامِ قَطيعُ الكَلاَ * مِ تَفْتَرُّ عنْ ذِي غَروبٍ خِصْرُ[3]**

ولعلّ هذه أبرز الصفات الجمالية والأخلاقية للمرأة الجاهلية، إذ أن الحياء والعفة من شيم العرب فهما ينعكسان على الواقع، وعلى منزلة القبلية في حد ذاتها.

ثانياً: صورة المرأة الواقعية في الشعر العربي القديم:

أ/ مفهوم المرأة الواقعية:

إذا جئنا نعطي تعريفاً مبسطاً عن المرأة الواقعية نجدها تلك هي المرأة المبتذلة والوضيعة في نظر الناس، امرأة لم

[1]- الأعشى الكبير، الديوان، المصدر السابق، ص 139.
[2]- علقمة بن عبدة التميمي(الفحل)، ديوان علقمة بن عبدة التميمي، شرح الأعلم الشمنتري، الجزائر، ط 1، 1925 م، ص 157.
[3]- امرئ القيس، الديوان، المصدر السابق، ص 18.

تنجح في تكوين أسرة كغيرها من الناس، فهي إما راقصة أو زوجة لعوب أو امرأة بغي تعرض شرفها لتسد رمقه.

أما عن مفهومها العام حسب رأي الدكتور علي بطل فهي :" ...إما قينة مغنية أو راقصة، وهي إما امرأة مهجورة من نساء الأعداء، أو هي في النهاية الزوجة المناكدة سيئة الأخلاق".[1]

حيث نجد أن الشعراء في هذا المقام لم يوروا المرأة الواقعية بأجزائها وتفاصيلها كما فعل شعراء المرأة المثال، ولم يجسدوا لها رموزا وتماثيل مقدسة تخرجها من عالم الواقع كما فعل شعراء المرأة المثال فالمرأة بالنسبة لهم متحركة وليست ساكنة، كما قلّ حضور المرأة الواقعية في الشعر العربي القديم لأن العربي كان ينظر للمرأة على أنها حرمة من الحرمات، إذ نجد حضور المرأة المثال هو الغالب فهي " تمت بسبب وثيق إلى الدين القديم، ولذلك تسلطت عناصرها المثالية على تصوير الشعراء للمرأة أمدا طويلا بعد ذلك ".[2]

أما عن بهي الدين زيان فقد نجده خالف الدكتور علي بطل في رأيه، حيث رأى أن الواقعية هي غالبة على المثالية، وذلك لميل الجاهلي إلى ما هو محسوس بعيدا عن المعنوي، إذ قال: " وجدنا أن أغلبه ينزع إلى الواقعية أكثر من نزوعه إلى المثالية، بمعنى أنه أكثر تعلقا بما هو مادي محسوس لم يتناولوا كثيرا من الموضوعات المعنوية المجردة التي تعلو على الماديات والمحسوسات، لم يكن الجمال والحب أو الكرم موضوعا من موضوعات هذا الشعر، لكن الشعراء رأوا في هذه الأفكار صفات لوجود مادي، كما أنهم حيث اختاروا موضوعات شعرهم كان اختيارهم لما هو أمامهم، وفي بيئتهم وتحت نظرهم" .[3]

---

[1]- علي بطل، الصورة في الشعر العربي، المصدر السابق، ص 85.

[2]- المصدر السابق، ص 91.

[3]- بهي الدين زيان، الشعر الجاهلي وتطوره وخصائصه الفنية، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، 1982، ص 151.

وبهذا نكون أمام موقفين متناقضين، حيـث الأول يعتـبر أن المثالية هي الغالبة، والثاني يرى الواقعية هي الأغلب، في حيـن نرى كلا رأيهما صحيحان.

ب/ صور المرأة الواقعية:

أولاً: القيان:

1- مفهوم القيان لغةً:

القيان مفردها قينة ولعلّ لفظة القينة من الألفاظ القليلــة في اللغة العربية،"القين، الحداد وقيل كـل صـانع قيـن والجمـع أقيان وقيون وقان الحديدة قينا عملها وسواها.

والقينة الأمة المغنية تكون من التزين لأنها كانت تزين، وربمـا قالوا للمـتزين باللبـاس مـن الرجـال قيـن، وقيـل القينـة الأمـة المغنية".[1]

[1] - ينظر، ابن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، المجلد 13، ط 1، 1410 ه، 1990م، ص 252 -257.

2- مفهوم القيان اصطلاحاً:

إن القيان بـالمعنى الاصـطلاحي كلمـة تنبثـق مـن الرفيـق العامة والإماء الخاصة، حيث يذكر ابن عبد ربه " أنه كـان أصـل الغناء ومعدنه في أمهات القرى من بلاد العـرب ظـاهرا فاشـيا، وهـي المدينـة والطـائف وخيـبر ووادي القـرى ودومـة الجنـدل واليمامة، وهذه القرى هي مجامع أسواق العرب.[1]، ومما لاشك فيه أن هذه الأسواق كانت تقام فيهـا تجـارة رائجـة لـبيع العبيـد والإماء العربيات.

ولما كان العمل واحتراف الصناعة ممـا يقـوم بـه العبيـد دون الأحرار السادة، والإماء دون الحرائر أطلقت كلمـة القيـن علـى العبد والقينة على الأمة، وبالتالي كان كل عمل يفيـد صـاحبه أو صانعه في نتيجة ما قيل له القنـوة أو القينـة بمعنـى الاكتسـاب والحيازة والتملك، ثم صار كل عامل أو صانع قينا، وكـل صـانعة قينة.

ومما لاشك فيه أن القينة كانت مرتبطة بالأمة المغنية في العصر الجاهلي، وكان لها مسميات عديدة كلها صـفات مشـتقة من أفعال تفيد السماع والغناء منها:

أ / الكرينة: وهي مشتقة من الكران، وهو العود وقيل الصـنج، وفيها قال امرؤ القيس :

وإِنْ أَمْسِ مَكروباً فَيَا * مُنَعَمَةٍ أَعملْتُهَا بِكِرانٍ**
رُبَّ قِينةٍ * أَجَشَ إذَا مَا حَرَّكَتْهُ**
لَهَا مَزهرٌ يَعلُو اليَدانِ.[2]
الخَميسَ بِصوتِهِ

ب/ المسمعة: وردت في شعر الجاهلي عند الأعشـى، وفيها قال :

---

[1]- ناصر الدين الأسد، القيان في الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر مكتبة الدراسـات الأدبيـة بيروت طبعة منقحة مزيدة ط 1، 1920م، ص 18.

[2]- امرئ القيس، الديوان، المصدر السابق، ص 92.

وشَاهدنَا الوَرْدُ * نُ والمُسْمعَاتُ**
واليَاسَمي * بِقُصَابِهَا**
ومِزْمَرُنَا مُعمَلٌ دَائمٌ فَأَيَ الثَّلاثَةِ أَزْرَى بِها[1]

ج/ الداجنة أو المدجِنة : ذكر ابـن الأنبـاري فـي كتـابه أن الداجنة هي القينة، وفيها قال ابن لبيد :

بِسمَاعِ مُدَجِنةٍ وجَذْبِ * بِموتَرِ تَأْتَالُهُ إبهَامُهَا[2] كرينةٍ**

3/ القيان في الشعر الجاهلي:

لقد كانت القيان يرتدن الحوانيت التي كـان يـديرها اليهـود غالبا، وذلك لجذب الشباب إلى اللهو والمتعـة فـي جـو يسـوده الغناء والمجون وألوان من الترف، بحيث كان لصـالح بـن علاط قيان يعزفن ويغنين ويسقين الخمر، في قول حسان:

رُبَّ لَهوٍ شَهدتْهُ أُمُ عَمرٍو * بَينَ بِيضٍ نواعمٍ في الرِّياطِ**
مَع نَدَامى بِيضِ الوُجوهِ كرامِ * نُبِهُوا بعدَ خَفقةِ الأَشْراطِ**
لِكُمَيْتٍ كأنَّها دَمُ جوفٍ عُنقتْ منْ سُلافةِ الأنباطِ
فاحْتَالَ فتى يُهينُ لها المَا لَ ونادمتْ صَالحَ بنُ عِلاطِ[3]

واشتهرت تجارة القيان في أماكن كثيرة من قرى الجزيرة العربية حتى جـاء الإسـلام، فانجـذب إليهـا الكـثير مـن الشـباب اللاهي منهم عبد الله بن جـدعان والأعشـى، الـذي كـان يطلـق على القيان باسم البغايا، في قوله :

---

[1] - الأعشى الكبير، شرح ديوان الأعشى الصـبح المنيـر فـي شـعر أبـي بصـير، بيـانه وديـوانه وتحقيقه د (م .حسين)، نشر مكتبة الآداب بالجماهير، ط 1، (د.ت)، ص 22.

[2]- الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحي، المؤتلف والمختلف، ط القدسي، 1254ه، ص 518.

[3]- نقلا عن: محمد الأزهر باي، حسان بن ثابت شاعر الجاهلية والإسلام، مركز النشر الجـامعي، (د.ط)، 2005م، تونس، ص 47- 48.

والبَغايَا يركضنَ أَكْسيةٍ الاصْ * ريح والشَرعَبي ذَا الأذْيالِ[1]**

ويمدح الأعشى مسروق ابن وائل الذي كان يهب ضيوفه هذه القيان الراقصات، فيقول:

الوَاهبُ القَينات * نِ في عقدِ الخَمائِلِ**
كالغَزْلا * عَصبَ المَريشِ**
يركضنَ كُلَّ عَشيةٍ والمراجِلِ[2]

وهاهو طرفة بن العبد البكري يصف لنا ذهابه المتكرر، حيث يجتمع رفقة خلانه ليشرب الخمرة، وكل ذلك في جو يسوده المجون، بما فيه من خمر وقوان راقصات ومغنيات، في قوله:

نَدمَايَ بيضٌ كالنُّجومِ * تَروحُ عَلَيْنا بَينَ بُردٍ**
وقينةٌ * ومُجسَدِ**
رَحيبٌ قطابُ الجيبُ * بِحبسِ النَّدامَى، بَضَّةُ**
منها، ورَفِيقةَ المتجرِّدِ
إذا نحنُ قُلنَا أسْمِعينَا عَلى رَسْلِهَا مَطروفَةَ
أنبرتْ لَنَا لم تَشدُّدِ[3]

ومنها نستخلص أن وجود القينة عند شعراء العرب لم يكن إلا عبارة عن امرأة بغي تعرض جسدها على الملأ مقابل دريهمات تدخل جيبها لا تسمن ولا تغني من جوع، فبالتالي هي امرأة مبتذلة تبيع عرضها لتسد رمقها .

ثانيا: الزوجة المناكدة:

في هذا النوع من صور المرأة الواقعية نذكر الشاعر علباء بن الأرقم الذي يصور لنا سوء خلق زوجته في هذه للأبيات إذ يقول:

---

[1]- نقلا عن علي بطل، الصورة في الشعر العربي، المصدر السابق، ص 85- 86.
[2]- المصدر نفسه، ص 86.
[3] - نقلا عن الزوزني، شرح المعلقات السبع، المرجع السابق، ص 89.

أَلا تُكَلِمَا عُرسِي تصدُ * وتزْعمُ في جَاراتِها أَنْ**
بوجْهِهَا * مَنْ ظَلَمَ**
أَبُونَا ولمْ أَظْلم بشيءٍ * سِوَى مَا تَرينَ في**
عملته * القِذَالِ وفي القَدَمِ**
فَيوْماً تُوافِينَا بِوجهٍ كَأَنَّ ظَبْية تَعْطُو إلَى
مُقسمٍ نَاصرِ السِلْمِ
فَقُلْتُ لها أَلَا تُنَاهِي أَخُو النَّكْرِ حَتَّى
فَإنَّنِي تَقْرَعِي السِنَّ منْ
نَدمِ[1]

فهذه بعض الأبيات التي تمثل لنا صورة عن سوء خلق الزوجة المتقلبة المزاج، فهي راضية أحيانا وضاربة الصراخ أحيانا أخرى حتى يسمع الجيران صراخها.

[1] -نقلا عن: علي بطل، الصورة في الشعر العربي، المصدر السابق، ص 89.

ثالثا: لوحة فنية شعرية لصورة المرأة الواقعية:

انتشرت ظاهرة الغناء والطرب ومجالس اللهو في العصر الجاهلي، رافقت تلك المجالس مجموعة من القيان وأعيان وشعراء، حيث عرف هذا الاتجاه في الشعر العربي بالاتجاه الحسي اللاهي، تسلطت فيه شهوات الجسد ونوازع الغريزة في قالب شعري.

ومما لاشك فيه أن واقعية هذا الشعر مرتبطة ارتباطا وثيقا بفئة معينة من المجتمع مثلتها القيان على وجه الخصوص، بحيث كان حب الناس للقيان مظهرا من مظاهر تحسس الجمال، فراجت سوقهن وكثر الإقبال عليهن، وعني أصحابهن بإعدادهن لتعلم الشعر والإجازة والمطارحة والغناء، وغيرهما من المفاكهة والمجالس، وكذا فنون الإغراء، وفتح لهن بيوت ومحلات ومواطن أنس وطرب ليجتمع فيها طلاب اللهو، وبرزت هذه الظاهرة بكثرة في الشعر فلم يلمع شاعر إلا بقينة عرف بها ووقف عليها شعره، ومثل هذا الاتجاه كل من امرؤ القيس والأعشى .

1- امرؤ القيس:

يعد شاعرنا امرؤ القيس المعلم الأول للمدرسة الغزلية، إذ يذكر ابن قتيبة في كتابه الشعر والشعراء :"إنه يعد من عشاق العرب والزناة، وكان يشبب بنساء منهن، فاطمة بنت العبيد، بن ثعلبة بن عامر العذرية، ومنهن أيضا أم الحارث الكلبية ....."[1].

إذا تفحصنا شعر امرؤ القيس نجده قد أجاد وأبدع في شعر الغزل والوصف بالمرأة الواقعية، فكان يصف القيان والجواري مشيرا بذلك إلى لذتي الغناء والخمر، ومتعرضا لطبقة العابثة من النساء حيث يحكي في أشعاره عن مغامراته الكثيرة مع نساء في ليالي ومخاطرته بذلك في قوله:

---

[1]- أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الصادر- بيروت، طبع في مدينة ليدن المحروس بمطبعة بريل سنة 1902م، ص 48.

سَمَوْتُ إليهَا بَعْدَمَا نَامَ أَهلُهَا *** سُمُوَ حبابِ المَاءِ حالاً على حَالِ
فقَالتْ سبَاكَ اللهُ إنَّكَ فاضِحِي *** ؟ أَلسْتَ تَرى السَّمارَ والنَّاسَ أحْوَالي
فقلتُ يمينَ اللهِ أبرحُ قاعداً *** ولَوْ قطَعُوا رَأْسِي لديكِ وأَوصَالي
حَلَفْتُ لها باللهِ حلفةَ فاجرٍ *** لنَاموا فَمَا إن من حَديثٍ ولاَ صالِ
فلِمَا تنازَعنَا الحديثَ وأَسْمَحتْ *** هَصرْتُ بغصنٍ ذِي شماريخِ ميالِ
وصِرنَا إلى الحُسْنى ورَقَّ كلامُنَا *** ورَضتْ فذلتْ صَعْبة أي إذلالِ
فأَصْبحتُ مَعشوقاً وأَصْبحَ بَعلهَا *** عليهِ القنام سيءُ الظَّنِ والبَالِ[1]

2- الأعشى:

قالت العرب إن أشعر العرب في الجاهلية أربعة هم : امرؤ القيس إذا ركب، والنابغة إذا رهب، وزهير ابن أبي سلمة إذا رغب، والأعشى إذا طرب.

كان الأعشى مولعا بالغناء والطرب، كما كان شغوفا بالخمر منكبا على اللهو، ومنغمسا في الملذات، وقد بدا ذلك واضحا في شعره حيث ارتكزت أشعاره على ثلاث مواضيع رئيسية وهي (الخمر والنساء والغناء).

ففي موضوع الخمرة نجد أن الأعشى قد أسهب في وصفه لها حتى اشتهر بها، بحيث لازمته هذه الشهرة حتى بعد موته، إذ يروي أبو الفرج الأصفهاني عنه فيقول: " أن محمد ابن إدريس بن سليمان بن أبي حفصة قال: قبر الأعشى

[1] - امرؤ القيس، الديوان، المصدر السابق، ص 24 - 25.

بمنفوحة، وأنا رأيته فإذا ما أراد الفتيان أن يشربوا خرجـوا إلـى قبره، فشربوا عنده، وصبوا عنده فضلات أقداحهم".[1]

وقيـل أيضـا أن الأعشـى قـد خصـص بيتـه مؤلفـا للفتيـان وشرب الخمر، إذ يقول في إحدى قصائده:

قَاعداً حَولُهُ النَّدامَى * فَكُ يُؤتَى بِموكرٍ**
فَمَا يَنْ * مَجْدُوفِ**
وصُدوحِ إذَا يُهِيجُهَا ** بُ تَرقَتْ في مزهرٍ
الشَّرْ ** مَنذُوفِ[2]

كما نجد في أشعاره الكثير من القصـائد الـتي يصـف فيهـا الحانات ودور الخمارين، إذ كان الأعشى يستمتع بـالخمر تـارة، ويتغزل بالقينة تارة أخرى، فيقول فـي وصـفه لإحـدى الحانـات التي كان فيها بغي وخمر وقينتنان وصناجة.

وطنَابيرُ حَسان * عِنْدَ صَنَج كلما مُسَّ**
صَوتُهَا * أرَنُ**
وإذَا المُسْمِعُ أفْنَى * عزَفَ الصنج فنَادَى**
صَوتَهُ ** صوتَ وَن..
وإذا مَا غُصَ مِنْ ** وأَطاَحَ اللَّحْنُ، غناناً
صَوْتِيهِمَا ** مُغَن[3]

أما فيما يخـص علاقتـه بالقيـان وشـغفه بالغنـاء والطـرب، فالأعشى لا يرى الحياة سوى لهو ومجون وخمر وتمتع بالنساء، إذ يقول في مطلع إحدى قصائده:

وكَأسٍ شَربتُ عَلى * وأُخْرى تَدَاوَيْتُ مِنْهَا**
لَذَّةٍ * بِهَا**
لِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ أَنِّي * أَتَيْتُ المَعيشةَ مِنْ**

---

[1] - نقلا عن: ناصر الدين الأسد، القيان والغناء في العصر الجاهلي، المصدر السابق، ص 221.
[2] - الأعشى الكبير، الديوان، المصدر السابق، ص 23.
[3] - خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية الميسرة (9) الأعشى (ميمون ليلاً)، دار مكتبة الهلال، بيروت – لبنان، ط جديدة منقحة، 1992، ص 80.

امْرُؤٌ * بَابِها**
كُمَيتٍ يَرى دُونَ قعرُ * كَمَثَلِ قَذَى العَيْنِ**
الإنَا * يَقذَى بِها**
وشَاهدْنَا الوَردَ نث والُمسمِعاتُ
وياسَمي بِقُصَابِها
ومِزمَرُنَا مُعملٌ دَائمٌ فأيُ الثَّلاثةِ أزْرَى بها
تضرى الصَّنجَ يبكي لَه مخافةً أن سَوفَ
شَجْوُهُ يَدْعِي بها[1]

إذ كانت علاقته بالقيان علاقة وثيقة، فكان يتغزل بهن ويصف أجسادهن، ويتشبب بهن، ويصف أيضا غنائهن وآلات عزفهن، ويشير ناصر الدين الأسد إلى أن الأعشى كان يتغزل بثلاث قيان في قوله: " وقد عرف عنه أنه كان يتغزل بثلاث قيان وهن :قتلى، جبيرة، هريرة، وهي أسماء أكثر الأعشى من ترديدها في شعره ". [2]

ومما يستدعي النظر في شعر الأعشى أنه تجلى في مستويين هما: مستوى عابث متدني خاص بالوصف الجسدي للقيان، ومستوى رفيع في الفن والخلق فالأوصاف الجمالية للمرأة ليست مقصورة على جمالها الحسي، بل تشتمل أيضا أخلاقها وشمائلها، ففي المستوى الأول نجد الأعشى قد أجاد في وصفه للمرأة عموما والقينة خصوصا، فهو الذي يصف هريرة ويتغزل بها ويتغزل ببياض بشرتها ونقائها وصفائها في قوله:

غَراءُ، فَرْعاءُ، مَصْقُولٌ * تَمشِي الهُوَيْنَا، كَمَا**
عَوارِضُهَا يَمشِي الوَجي الوحلُ[3]

وينفي عن قتلى صفة السواد فيقول:

---

[1]- المرجع السابق، 71 _ 72.
[2] - ناصر الدين الأسد، القيان والغناء في العصر الجاهلي، المصدر السابق، ص 233.
[3]- خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية الميسرة الأعشى (يبصر ليلاً)، المرجع السابق، ص 114.

لَيْسَتْ بسوداءٍ ولا عَنْفَصٍ * تسَارِقُ الطرف إلى الدَاعِرِ**
بَيضاءُ جَمَاءُ العِظَامِ لها * فرَعٌ أَثَيثٌ كالحبَالِ رَجِل[1]**

أمّا عن المستوى الرفيع فالمرأة عند الأعشى برغم من صفاتها الجسدية إلا أنها كتومة للسر، وحافظة لشرفها إذ يقول في هريرة:

عَلى هُرَيرةٍ إذْ قَامَت تُوَدِعُنَا * وقَدْ أَتَى مِنْ إِطَارٍ دُونَهَا شَرَفٌ[2]**

وكخلاصة حول ما قدمناه عن شعر الأعشى نستخلص من تلك النماذج أن شعر الأعشى عبارة عن تصوير واقعي صادق حول كل ما كان يحيط بالشاعر من حانات وقيان وآلات الغناء في جو مليء باللهو والمجون.

وفي الأخير نستنتج من خلال دراستنا هاته لصورة المرأة المثالية والواقعية في الشعر العربي القديم أن شعراء المرأة المثال ركزوا على كل الصفات التي تجعل امرأة مقدسة، وذات رفعة بحيث شبهت بالعديد من التشبيهات مثل الشمس، الضبية، المهاة، النخلة ...، حيث احتلت أمدا طويلا وشغلت العديد من الشعراء في العصر الجاهلي.

كذلك نجد صورة المرأة الواقعية قد تجلت عند شعراء الحس اللاهي، حيث بدت أكبر جرأةً وأشد حضوراً، وهي هنا تمثل الطبقة العابثة من النساء القيان والبغايا.

---

[1]- الأعشى الكبير، الديوان، المصدر السابق، ص 139.
[2]- ناصر الدين الأسد، القيان والغناء في العصر الجاهلي، المصدر السابق، ص 239.

الفصل الثاني:

صورة المرأة في شعر نزار قباني

أولاً: صورة المرأة في القرآن الكريم:

تعدُ المرأة جزء لا يتجزأ من الحياة، فهي المكمل لها ونصف المجتمع، بل أكثر من نصف المجتمع، إنها صانعة المجتمع، حيث تُزَيِّنُ البيتَ كأمٍ حاميةٍ، ومدبرةٍ، وراعيةٍ، وتُزيِّنُ البيتَ كزوجةٍ حنينةٍ، وناضجةٍ، وأنثى ناعمةٍ، وتُزيِّنُ البيتَ كبنتٍ يهفو إليها قلبُ أبٍ حاني، وأخٍ صديقٍ مؤنسٍ، وكصانعةٍ وحاملةٍ، فكأنما جعلت سكنا وسكينةٍ وطمأنينة في كل مكان تَحِلُ به.

قد نالت قضية المرأة في الشريعة الإسلامية مكانةً عظيمة ومقاما عاليًا ونعمة كريمةً،لم تنلها امرأة في الديانات الأخرى، وذلك أنَّ الإسلام كفل حقوق المرأة، وحفظها لها، ومنحها حظ الرعاية، مما كانت عليه في الجاهلية، حيث اعتبروها أداة وسلعة ومتاعا بأيدي الرجال، يتبع شهوتهم الجسدية، إلاّ أن الإسلام رفض كلّ اعتقاداتهم، فجاءت الكثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية التي أوصت بها، وأكرمها والمحافظة عليها، يقول المولى جل وعلا: (**وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**)[1]، أي بمعنى " ولهنَّ على الرجال من الحق مثل ما للرجال عليهن، فليؤد كل واحد منهما إلى الآخر ما يحب عليه بالمعروف"[2].

إذ نجد النبي صلى الله عليه وسلم قد أعطى حق للمرأة، وبين مكانتها في الشريعة الإسلامية، قال في خطبته في حجة الوداع: " فاتقوا الله في النساء، فإنكم أخذتموهنّ بأمان الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكن عليهن ألاّ

---

[1] - سورة البقرة، الآية 228.

[2]- الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القران العظيم دار الطيبة للنشر والتوزيع، تحقيق: سامي محمد السلامة، المملكة العربية السعودية، المجلد الأول،ج 1 ،ط 1 ،1997، ط 2 1999، ص 609.

يوطئن فرشكم أحدًا تكرهونه، فإن فعلن ذلك فاضربوهنّ ضربًا غير مبرح، ولهنّ رزقهنّ وكسوتهنّ بالمعروف". [1]

فحضور المرأة في القرآن الكريم هو أحد أهم المؤشرات على قيمتها وأهميتها البالغة في كتاب الله العزيز، فحضرت من خلال مصطلحات وألفاظ دلت عليها، وجاءت تحت لفظ واحد وهو " المرأة ".

وقد حمل هذا الأخير في طياته دلالات أخرى، فجاءت دالة على" الزوجة " و" البنت " و" الأخت " و" الأم " و" الصاحبة " و" الحبيبة "...

إذ وردت المرأة بالاسم: كأمنا حواء عليها السلّام، ووردت باللفظ كامرأة عمران، وامرأة لوط...، حيث قال تعالى: (**وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ**).[2]

وجعلها حرةً مستقلة بعدما كانت مستعبدة عند العرب القدامى، وقد ساوى الله بينها وبين الرجل، فهي جزء مخلوق منه، في قوله تعالى:(**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**).[3]

خلقكم من نفس واحدةٍ وهو آدم عليه السّلام، وخلق زوجها منها هي حواء عليها السّلام، خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم، فلمّا استيقظ رآها فأعجبته فأنس إليها وأنست إليه، وقوله: » "... بثَّ منهما رجالاً كثيراً ونساءاً..." أيّ: ذرأ منهما – آدم وحواء- رجالا ونساءا ونشرهم في أقطار

---

[1]- المرجع نفسه، ص 609.
[2]- سورة البقرة، الآية 35.
[3] - سورة النساء، الآية 01.

العالم على اختلاف أصنافهم وصفاتهم وألوانهم ولغاتهم... » .[1]

كما نجد شبيه بهذه الآية قوله تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**).[2]

فقد جاءت أحاديث النبي -صلى الله عليه وسلم- تؤكد على أن المرأة من الرجل والرجل من المرأة، فقال: »كما جاء في الحديث الشريف الذي رواه الإمام أحمد والترميذي عن عائشة- (إنما النساء شقائق الرجال) «.[3]

فلم يكتف بتقرير حقوق المرأة وواجباتها، بل أضاف لذلك الوصية بإكرام النساء بأبلغ الوجوه، حيث »جاء في الصحيحين عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله – الله عليه وسلم - قال:(استوصوا بالنساء خيرا) « .[4]

وبهذا يظهر لنا أن الرجل والمرأة من أصل واحد، وأنهما متساويان في شؤون الحياة وطبيعتها البشرية.

كما يظهر ذلك جليًّا أيضًا في قوله تعالى: (**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ**

---

[1] - الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القران العظيم دار الطيبة للنشر والتوزيع، تحقيق سامي محمد السلامة، المملكة العربية السعودية، المجلد الثاني، ج 2، ط 1 1997، ط،2 1999، ص 206.

[2] - سورة الحجرات، الآية 13.

[3] - الشيخ محمد الغزالي، د. محمد سيد طنطاوي، د. أحمد عمر هاشم، المرأة في الإسلام، مطبوعات أخبار اليوم الإسلامية، (د ط)، (د ت)، ص 47.

[4] - المرجع نفسه، ص 47.

كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا) ".[1]

وهنا قد أراد الله أن يلفتنا إلى قضية التكامل بين الرجل والمرأة، كقضية التكامل بين الليل والنهار، إذ تعني هذه الآية الكريمة أن الرجال مقترين بالنساء، وأنّ الخطاب الموجه للرجل في القرآن الكريم موجه للمرأة كذلك، إلاّ فيما اختص الله به أحدهم عن الآخر.

أمّا عن سبب نزولها، » فلقد جاء عن مقاتل بن حيان أنه قال: بلغني أن أسماء بنت عميس لما رجعت من الحبشة معها زوجها جعفر بن أبي طالب، دخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلنا: لا، فأتت النبي فقالت: يا رسول الله إنّ النساء لفي خيبة وخسارة، قال: ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يذكرن في الخير كما يذكر الرجال، فأنزل الله تعالى:))إنّ المسلمين والمسلمات((إلى آخره « .[2]

وقد كانت المرأة شريكة للرجل في كل النشاطات الاجتماعية، وذلك في قوله:" (**وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**).[3]

كما وردت المرأة أيضا بلفظ "الأم" تارة وهو الأكثر حيث ورد ثمان وعشرين مرة، والذي يرمز لها بالفداء والتضحية والطهر والنقاء والحب والحنان، والتي أمرنا بإكرامها في الدنيا إكراما مطلقا لا حدود له، وتارة بلفظ

[1]- سورة الأحزاب الآية 35.
[2]- أبو الحسن علي بن أحمد النيسابوري:أسباب النزول،منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (د. ط)،(1991م)، ص:152- 153.
[3]- سورة التوبة الآية 71.

"الوالدة" وهو قليل حيث ورد خمس مـرات فقـط، لأن لفـظ "الأم" أعـم مـن لفـظ "الوالـدة" كـان الأكـثر اسـتعمالا فـي القرآن الكريم حيث ذكـر فـي سـياقات مختلفـة: منهـا قصـة موسى وقصة عيسى عليهما السلام، إذ قال تعالى: (**إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَـمَ اذْكُـرْ نِعْمَتِـي عَلَيْـكَ وَعَلـى وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ**). [1]

قـوله تعـالى: (**وَالْوَالِـدَاتُ يُرْضِـعْنَ أَوْلَادَهُـنَّ حَـوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ**).[2]

قوله تعالى: (**وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَـقِيًّا**). [3]

قـوله تعـالى: (**لَا تُضَارَّ وَالِـدَةٌ بِوَلَـدِهَا وَلَا مَوْلُـودٌ لَـهُ بِوَلَدِهِ**).[4]

وبذلك لفظ الأم لفظ شامل لصفات المرأة كلها، لقـوله تعـالى: (**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَـانَ بِوَالِـدَيْهِ حَمَلَتْـهُ أُمُّـهُ وَهْنًـا عَلَـى وَهْـنٍ وَفِصَـالُهُ فِـي عَـامَيْنِ أَنِ اشْـكُرْ لِـي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ**).[5]

وفي آية أخرى قال: (**وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَـانًا حَمَلَتْهُ أُمُّـهُ كُرْهًـا وَوَضَـعَتْهُ كُرْهًـا وَحَمْلُـهُ وَفِصَـالُهُ ثَلَاثُـونَ شَهْرًا**).[6]

واستنادا لما سبق فإن لفظ الوالدة أطلـق علـى المـرأة التي تنجب بغض النظر عن صفاتها، أمّا لفظ الأم فقد أطلقها الله عزّ وجـل علـى الأصـل الكريـم الـذي هـو رمـز التضـحية والفداء.

---

[1]- سورة المائدة، الآية 110.
[2]- سورة البقرة، الآية 233.
[3]- سورة مريم، الآية 32.
[4]- سورة البقرة، الآية 233.
[5]- سورة لقمان، الآية 14.
[6] - سورة الأحقاف، الآية 15.

أما لفظ الزوجة فقد ورد مفردا ومثنى، وبصيغة الجمع إحدى أيضا، وقد ورد إحدى وثمانين مرة، وأتى في أكثر من نصف هذه الموارد، أي تسع وأربعين مرة، يأتي للدلالة على المرأة المتزوجة، ويأتي أحيانا للدلالة على الرجل والمرأة معا وذلك بصيغة الجمع (أزواج) وقد جاء ذلك ست مرات، بينما لم يرد للدلالة على الرجل إلا ثلاث مرات، وجاء ذلك في قوله تعالى:

(**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آَتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**).[1]

وقال أيضاً: (**قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**).[2]

و قال: (**كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**). [3]

كما أن الرسول صلى الله عبيه وسلم لم يخجل من حب زوجاته وتقديرهن أمام الناس إذ رُوي عن أبي عثمان النهري: »أنّ الرسول –عليه الصلاة والسلام- بعث عمر بن العاص على جيش ذات السّلاسل. قال: فأتيته فقلت: أيُّ النّاس أحبّ إليك؟ فقال عائشة، فقلت: ومن الرّجال؟ فقال: أبوها، فقلت: ثمَّ مَن؟ فقال: عمر بن الخطاب. فعدَّ رجالًا «.[4]

---

[1] - سورة الأعراف، الآية 189.
[2] - سورة المجادلة الآية 01.
[3] - سورة الدخان، الآية 54.
[4]- الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، المكتب الإسلامي، تحقيق: شعيب أرنؤرط، زهير الشاويش، مجلد 3، بيروت، ط 2، 1983، ص 5693.

ومن خلال ما سبق ذكره نستنتج أن كتاب الله عزّ وجل المنزّل على خير خلقه كان المنصف لهذه القضية بكل مقاييسها، وهو المفصّل الواضح الذي لا تشوبه شائبة، والصور التي وردت عن المرأة لم تضاهيها صور أخرى من كل الجوانب، حيث بين حقوقها وواجباتها، ورفع من شأنها، وأثنى عليها بما تستحقه من تكريم واعتزاز، وشملها في جميع تشريعاته بالرحمة والعدل، وسوى بينها وبين الرجل في معظم شؤون الحياة، فلا ينكر لأحد أن ينكر دورها ومكانتها.

ثانياً: صورة المرأة في شعر نزار قباني:

يُعد نزار قباني أول شاعر كسر الطوق المفروض على المرأة، حيث كان رجلاً صادقًا في التعبير عن مشاعرها وحاجياتها، فهو من أكثر شعراء العصر الحديث الذين أنتجوا بغزارة بالنظر إلى ما خلفه لجمهوره وعشاق شعره، منها ما هو لقضايا الوطن والغالبة للمرأة والغزل، فقد دافع عنها وحاول تخليصها من الضعف والظلم، إذ تميزّ بنظرة خاصة للمرأة في موضوعات شعره، حتّى أنها استحلت مكانًا عظيمًا في عدة جوانب، وبهذا فلم يكن حضورها جسديا أو جنسيا فحسب، بل متفتحًا ومتحضرًا من كل عقدة تلبسها المرأة أو يلبسها الجميع.

فكانت المرأة الشغل الشاغل لنزار، حيث تفنن في توصيفها، ووصفها وصفا حسيا وجنسيا صريحا، فحاول التعمق والتغلغل في عالمها الواسع، وذلك لمحاولة اكتشاف ما لها من خصوصيات ومميزات من أجل دعوتها إلى التحرر من القيود التي لا طالما كبدتها، حيث أنّه كلّف نفسه في مهمة الدفاع عنها دون غاية، لأنّها قضية واحدة لا تتجزأ، فقد جاءت دالة على الأم والأخت، والحبيبة، والزوجة، والرقيقة التي صورها في أسمى صورها من الأخلاق والحسن والجمال.

إذ يقول نزار في أحد أحاديثه: " قد تكون قصائدي غيرت شيئا في بنية المجتمع العربي ونسيجه، وقد تكون ساعدت المرأة في التخلص من ضعفها ودونيتها، ودكتاتورية ذكور القبيلة، فإذا اعترفت المرأة بما فعلته من أجلها فشكرًا لها... وإذا لم تعترف فشكرًا لها أيضا ". [1]

[1] - صلاح الدين الهواري المرأة في شعر نزا قباني دراسة نقدية، دار البحار، بيروت لبنان، ط 1، 2001، ص 43.

ومن هنا لابد من طرح بعض الأسئلة: إلى أي مدى وفّق الشاعر إخراج المرأة من ظلمات الجعل إلى النور؟ وهل اهتم نزار بالجانب الفكري الروحي أم الجسدي ؟

ومن هي المرأة التي حظيت بمكانة عالية واهتمام بالغٍ في شعره ؟ أهي "الأم" أم هي "الزوجة"، أم "المعشوقة والعاشقة" ؟ أم هي "البغي الساقطة"؟

إذا هذه بعض الأسئلة يمكن أن نحاول الإجابة عنها ولو بالقليل، لأن بعض الأسئلة وغيرها طرحها الشاعر على نفسه وما أقنعنا بالإجابة عليها.

وبهذا يمكن القول أن نزار قباني جعل من المرأة موضوعًا محفزا لكتاباته، دون سائر الموضوعات الأخرى، ورسم لها صورة بكلماته، " فلماذا المرأة، إذن، في شعره ؟ وما السر في ذلك؟".

وبهذا يتساءل نزار قباني بدوره: »لما اخترت المرأة دون غيرها، من الكائنات الجميلة دفترًا أكتب عليه أشعاري؟..

- لماذا احتلت المرأة تلك المساحة الشاسعة من أوراقي، ومدت ظلها على ثلاثة أرباع عمري؟ وثلاثة أرباع فني ؟....

- لماذا أكتب عن المرأة ؟... ».[1]

فمن خلال هذه التساؤلات التي يطرحها نزار، يبدو أنه مدرك لصعوبة اختيار موضوع المرأة كموضوع رئيسي للكتابة، حيث يجيب بذكاء على هذه الأسئلة بسؤال آخر ويقول: » ولماذا لا أكتب عنها ؟ "[2]، ليبقى السؤال مطروحا عن العلاقة القائمة بين المرأة والشعر؟، حيث يقول ويجيب عنه: " المرأة هي الشعر.. كل شرٍ، أو يُكتَب، أو سوف

[1] - أحمد حيدوش: شعرية المرأة وأنوثة القصيدة ،قراءة في شعر نزار قباني، من منشورات اتحاد الكتاب العرب (مشق) (د ط)، 2001، ص 91.

[2]- المرجع نفسه، ص 95.

يُكتب، مرتبط بالمرأة كما الجنين بحبل المشيمة...لا يستطيع الشـعر أن يكـبر .. ويـترعرع .. ويقـف علـى قـدميه دون امرأة..." [1]، وبالتالي الشعر والمرأة يكملان بعضهما البعض.

لقد كتب نزار وكتب عن المرأة علـى مـدى ثلاثيـن عامًـا بحرارة وتوهجٍ وتدفقٍ وعطاء، لم يذو ولم يضعف يومـا، حـتى اعتبرهـا جـوازه سـفره وبطاقـة هـويته، وتـاريخه الحضـاري والثقافي، بل هي ذاته الحاضرة الغالبة دوما عنده.

أطلق على الشاعر عدة ألقاب منها (شاعر المرأة) فقد أعطى نزار معنى الأنوثة لها، إذ يشـعر بالقسـوة بهـذا اللقـب الذي لقبته بـه الصـحافة وتبعهـا النـاس، فقيـل لـه: »أطلقـوا عليك اسم شاعر المرأة... مـا معنـى هـذا اللقـب؟، لا معنـى له ... إنه (لصقة طبيـة) وضـعتها الصـحافة علـى جلـدي ذات يوم، ولا أزال أعاني حتى اليوم من آثارها الزرقاء.. «[2].

فماذا قدم هذا الشاعر للمرأة كما يرى، فيقـول: » ربمـا كان من أعم انجازاتي،أنني حذفت اسمها من قائمة الطعام.. ووضعته في قائمة الأزهار.. حذفت اسـمها قائمـة العقـارات، والأسلاك المنقولة، غير المنقولة.. ووضعته في قائمة الكتــب التي تُقرأ.. حذفت جسـدها مـن قائمـة الخـراف الـتي تنتظـر الذبـح، والعجـول الـتي تنتظـر السـلخ..ووضـعته فـي قائمـة المتـاحف الـتي تـزار.. والسـمفونيات الـتي تُسـمع.. فككـتُ الرهن التاريخي على نهديها.. وأطلقتها حمامتين.. فـي سـماء تحترف صيد الحمـام الأبيـض.. وضـعتها قرنفلـة بيضـاء، علـى صدري.. ودخلتُ بها على حصـان أبيـض إلـى المـدن العربيـة الـتي تمـارس الحـب بصـورة سـرية.. وعلقـوا صـوري علـى

[1]- نزار قباني، المرأة في شعري وفي حياتي، بيروت، (د.ط)، 1981/9/ 15، ص 76-77.
[2] - نزار قباني، المرأة في شعري وفي حياتي، المصدر السابق، ص 16.

حيطان الشوارع والأشجار، ووضعوا جائزة كبرى لمن يأتيهم برأسي.. أو برأس إحدى مجموعاتي الشعرية.. « .[1]

وما الذي لم يقدمه أو يفعله نزار قباني من أجل المرأة؟

»حملتها على كتفي أربعين عامًا.. وسافرت بها مشيًا على الأهداب، من الخليج إلى المحيط، وعلى كل كثيب رمل نامت عليه.. ترعرعت نخلة وانبثق ينبوع ماء .«[2]

إنه بحق شاعر المرأة، فهو لا يقارن بأحد ولم يتشبه بأحد ولم يقلد أحد، بل اندفع إبداعه بعفوية وثورية وعبقرية، جعلت من شعره مدرسة.

لذا حُظيَّ بمكانة عظيمة لم يحظى شاعر عربي قط، فكتب عن المرأة خمسين عامًا أو أكثر، ولم يبال حتى وإن نعتوه بشاعر المرأة، لأنه جردَّ أداته للكتابة عنها، فلم يكتب عن امرأة واحدة، بل كتب عن كل امرأة عن المرأة الأم، والمرأة الزوجة، والحبيبة، والقطة، والفأر، كما كتب عن المرأة المثالية وحتى الواقعية، والبغي، وخير دليل القصائد التي سنتطرق إليها.

فنجد حضور المرأة جليًّا في قصيدته إذ يقول :

أنَا بِمُحاربتي السَوْداَء ..
ضَوْءُ الشَّمْسِ يُوجِعُنِي
و سَاعَةُ بيتنا البَلهاءُ
تَعْلِكُنِي
وَ تَبْصُقني..
مَجَلاتِي مُبَعْثَرَةٌ ..
وَ مُوسيقَاي تُضْجَرني.
معَ المَوْتَى .. أَعيشُ أنا

[1] - المصدر نفسه، ص 09.
[2]- نفسه، ص 07.

مَعَ الأطلالِ والدِمَنِ
جَميعُ أَقارِبِي مَوتَى
بلا قبرٍ ولا كَفَنٍ .. [1]

وهنا نجد المرأة صرخت في شعر نزار، وأعـارت صـوتها لشاعر يعرف قيمتها ألا وهو شـاعر الحـب والحريـة والعشـق "نزار قباني"، الذي لم تجد أحد من غيره يصرح علـى لسـانها ويكوَّنُ كياناتها ويحرر ذاتها.

»ويصـل نـزار علـى اسـتعمال الرمـز الأنثـوي فيقـرر أن الأنثى كتابة ويعود بها إلى مكانها الطبيعي فتعـود كمـا كـانت، فيكتـب (هكـذا أكتـب تاريـخ النسـاء 1981) يطلـب فيـه مـن المرأة أن تبقى أنثى تحافظ على أنوثتها وتجلوها، لأنها عنصر مختلف أصلا ولأن كل الحضارة أنثى، والحرية أنثى والقصـيدة أنثى، بل كل الأشياء الجميلة في حياتنا أنثوية « . [2]

أُرِيدُكِ أُنْثَى ..
لِأَنَّ الحَضَارَةَ أُنْثَى ..
لِأَنَّ القَصِيدَةَ أُنْثَى ..
وَ قَارُورَةَ العِطْرِ أُنْثَى..
وَ بيروتَ تَبْقَى _ بِرَغْمِ الجِرَاحَاتِ
أُنْثَى ..[3]

فمـن خلال هـذا المقطـع بيـن لنـا الشـاعر أن الأنوثـة منتشـرة كـل فـي الأشـياء مـن حضـارةٍ، وقصـيدةٍ، وقـارورة عطرٍ...

---

[1] - نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني،ج 1، بيروت- لبنان، (د. ط)، (د. ت)، ص 587.

[2] - حبيب بروين، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، المؤسسة العربية للدراسات والنشـر، بيروت، سنة 1990، ص 236 .

[3] - نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، ج 2، بيـروت ط 12، سـنة 1983، ص 827.

كما نجد المرأة في نظر نزار قباني كانت الأنثى والجسد الـذي تحتـاجه فقـط، وذلـك مـن خلال دواوينـه وبالخصـوص قصيدته (قالت لي السمراء):

أُحِبُكِ لَا أَدْرِي ... حُدودَ مَحبَتِي
طبَاعِي أعاصيرٌ... وعاطِفَتي سيلُ
أعْرفُ أنِّي متعبٌ يا صَديقتِي
و أعرفُ أنِّي أَهُوجُ ... وأنَني طفل
أحبُ بأعصابي،
أحبُ بريشتي، أحبُ بكلي
... لا اعتدال، ولا عقل.[1]

ففـي هـذه القصـيدة »لا يعـرف الشـاعر حـدود محبتـه، طباعه أعاصير، عـاطفته سـيل، يعـترف لصـديقه أنـه متعـب، وأهـوج، وطفـل لكنـه يحـب بأعصـابه، يحـب بريشـته، يحـب بكلّه...لا اعتدال ولا عقل «.[2]

ومـن هنـا نلاحـظ أن نـزار يـدعو إلـى هـدم الحـواجز الموجودة بين الرجل والمـرأة، وذلـك مـن الناحيـة الجنسـية، وتحرير ذاتهـا مـن الناحيـة الثانيـة، وتأسـيس علاقـة متكاملـة بينهما.

وبهذا كانت المرأة في شعر نزار قبـاني طـرازًا مختلفًـا، فقد شكلت عالما قائما بذاته لا تحده حدود معينة، فدخل حيز جسدها دون خجل أو عجز، ووصفها بالمثل الأعلى.

---

[1]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 60.

[2] - محمد الزينـو السـلوم أعمـال الشـاعر نـزار قبـاني بيـن قوسـي قـزح، دراسـة الأعمـال الشعرية الكاملة، وما قاله بعض النقاد عن نزار وأشـعاره... (دراسـة تحليلـة)، ج 1، المجلـد الأول، (د ط)، (د.ت)، ص 68.

ثالثا: المرأة الأم في شعر نزار قباني:

إنَّ أول سيدة عرفها نزار قباني فـي حيـاته منـذ وطئـت أقدامه الأرض، ألاَّ وهي " أمه "، التي كـانت الينبـوع والبطـن الحاملة، والصدر المرضع، فكثيرًا ما يُكنَّى بها أسـاس الربـاط بين الإخوة ومدفع للتنافر وجلب القرابة والوصال.

فقـد تغنَّـى بهـا كـل فنـان ومبـدع فـي مجـاله الخـاص وبطريقته الخاصة سواء بالغنـاء أو بالشـعر أو بـالنثر، فعلاقـة نــزار بــأمّه علاقــة تفيــض بــالحب والمشــاعر والأحاســيس الوجدانية إلى حدّ نجد فيه علاقته بأمه من خلال شعره تفـوق علاقته بعائلته، على الرغم من علاقته بها فـي سـن الطفولـة تكاد تكون على عكس ذلك من وجهة نظره، حيـث لـم يـدرك عمق هذه العلاقة وحـاجته إليهـا، فمـا هـي سـمات هـذه الأم التي أحبها وتعلق بها نزار قبـاني، وكيـف بـدت هـذه الأم فـي شعره؟.

لذا ارتأينا أن نبدأ بالقصيدة التي كتبها نزار عنـدما سـمع بخبر وفاة أمه، وهو في بيروت، كانت بعنـوان "أم المعـتز" إذ يقول في مطلعها :

عندما كانت بيروت تموت بين ذراعي
كسمكةٍ اخْترقها رُمْحٌ
جاءني هاتف من دمشق يقول:
" أمك ماتت "
لَمْ أَسْتَوْعِبْ الكَلِمَات في البِدَايةِ
لَمْ أَسْتَوعبْ كيف يمكن أن يموت السمك كله في وقت واحد
كانت عناك مدينة حبيبة تموت... اسمها بيروت
وكانت هناك أم مدهشة تموت...

اسمها فائزة...[1]

ومن خلال هذه المقطوعة فقد لاحظنا أن نزار فجعه خبر وفاة أمه، الذي هزَّهُ وأحسَّ أنَّ كل شيء مات بموتها، التي كانت معروفة في دمشق باسم " أم المعتز " حيث يقول :

»إن بيتها كان معقلا للحركة الوطنية في الشام عام 1935،... وكلما أوغل الشاعر قصيدته، بدت صورة أمه أكثر وضوحا، فهي امرأة لا تتعاطى العلاقات العامة، ولا صور لها في أرشيف الصحافة، ولا تذهب إلى حفلات الكوكتيل، ولا تشتري ملابسها من عواصم الموضة الأوروبية، ولم يسبق لها أن تحدثت لمجلة نسائية عن حبها الأوّل.. وموعدها الأوّل... ورجلها الأوّل، إنها امرأة " دقة قديمة " لا تفهم كيف يكون للمرأة حب أول... وثانٍ، وثالث... وخامس عشر إنها تؤمن برجلٍ واحدٍ، وحبيبٍ واحدٍ وحُبٍ واحدٍ « .[2]

ومن خلال ما سبق ذكره نرى أن أمه كانت جد متواضعة، لا شأن لها بالعلاقات العامة، والحفلات الرسمية والأناقة، إلا أن اسمها مشهور في الشام وعلى حد تعبيره هو:

يعرفونها في دمشق باسم "أم المعتز"

و بالرغم من أن اسمها غير مذكور في الدليل السياحي

في جزء من الفلكلور الشامي...[3]

الشاعر هنا يعتز بأمه، ويصر على العودة إلى مرحلة الطفولة المليئة بالذكريات الجميلة، فيسمو بحب والدته على حب جميع النساء اللَّواتي عرفهن، لذلك فشل في علاقاته

---

[1] - نقلا عن: عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 37.
[2]- صلاح الدين الهواري المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 48-49.
[3]- نقلا عن: عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعرر نزار قباني، المرجع السابق، ص 39.

العاطفية، وعجزت كل امرأة أن تتحلى بصفات أمه الفاضلة، فكانت امرأة مثالاً ونموذجًا لن يجد له مثيلاً بين نساء العالم.

حيث يقول عنها: » أما أمي كانت ينبوع عاطفة يعطي بغير حساب، كانت تعتبرني ولدها المفضل، وتحضني دون سائر إخوتي بالطيِّبات، وتلبي مطالبي الطفوليَّة بلا شكوى ولا تذمر، ولقد كبرت، وظَلَلْتُ في عينيها دائما طفلها الضعيف القاصر، ظَلَّتْ تُرضعُني حتى سن السابعة وتطعمني بيدها حتى الثالثة عشرة .«[1]

"هذه الأم طالما أغدقت على هذا الصبي دون أن تبخل عليه وفضلته على سائر الإخوة أيمّرُ عليها دون أن يسجل لها تركته من آثار طيبه في حياته وشعره طبعا الأم عند نزار وأن كانت لا تلتقي معه على الصعيد الفكري لأن لها طقوسا لا يفهمها "[2] » إلا هي تطبخ الحبوب في عاشوراء وتمتنع هن زيارة المرضى يوم الأربعاء وعن الغسيل يوم الاثنين وتعلق أحجار الفيروز الأزرق على رقبة كل واحد منا خوفا علينا من عيون الحاسدين « .[3]

وبهذا فطفولة نزار تختلف عن حياة الآخرين منذ بدايتها كانت متفردة ومميزة لم يفارق حضن أمه حتى السابعة من عمره فكانت تطعمه بيدها وهو ابن الثالثة عشر على حد قوله، وطغت على كل نساء دواوينه اللائي ذكرهن في شعره فبلغت 23 ديوان يشكل صحيح، وفي قصيدة (اعترافات رجل نرجسي) يقول:

... وبَعدَ ثَلاثينَ عَامًا
تَأَكَدْتُ أَنّي أُحِبُكِ
وَ أَنَّكِ امْرَأَتِي دُونَ كُلَ نِسَاءَ

---

[1] - نزار قباني، قصتي مع الشعر، منشورات نزار قباني، (د. ط)، (د. ت)ـ ص 77.
[2]- عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 225.
[3]- ينظر، نزار قباني، قصتي مع الشعر، المصدر السابق، ص 78.

وَ أَيْقَنْتُ أُنَّ جميعُ الذّي كَانَ قَبْلَكِ
كَانَ تُرابًا..
وَ كَانَ دُخانًا...
وَ كانَ احْترامًا...
وَ بعدَ ثلاثينَ عَامًا
عَرفْتُ غَبَائِي الشَّديدُ.
وَ أيقنتُ أنّكِ شَمْسُ الشُّمُوسِ
وَ بَرْدُ السَّلام.
و أنِّي بِدونِكِ طِفْلٌ
أضاعَ حقيبتَهُ فِي الزُّحامِ.
وَ أنَّكِ أَمِّي التّي وَلَدَتْنِي
وَ منهَا تَعَلَّمْتُ كَيْفَ أَمْشَطُ شَعْرِي [1]

فمن يستقرئ القصيدة يظهر له أن الشاعر يعاني من عبء وتعب كبير في البحث والتقصي في تاريخ عالم النساء، وأيقن أنه كان يجري وراء دخان وسراب غير ممكن التحقق، وأكدّ أنّه يحب المرأة الأولى التي هام بها وهي أمه، والمتأمل في القصيدة يرى أنه يبحث عن امرأة التي كان يبحث عنها طوال حياته ألا وهي زوجته " بلقيس ".

وفي قصيدة " قراءة في تاريخ نهد "، نرى الشاعر أنه لم يجد صدرًا يحضنه كصدر أمهِ، ولم يجد امرأة تشبه أمه، إذ يقول:

أُحِبُكِ جِدًا...
و أعْرِفُ أَنِّي وَجَدْتُ تُرَاثِي
وَ أَنِّي وَجَدْتُ جُذرِوي
فَنَهْدَاكِ... آخِرُ حُصْنٌ حَصِين

[1]- نزار قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، منشورات نزار قباني، بيروت- لبنان، ط4، 1998، ص 122.

يُدَافِعُ عَنْ كِبْرِيَاءِ العَرَبِ [2]

وبهذا يظهر لنا أنَّ نزار أرهقه البحث عن امرأة تشبه أمه في العطف والحنان، وتحبه كونها حبية، وها هو يستريح لأنه وجدها.

كما يكشف نزار لنا في بحثه عن المرأة الغائبة بصورة واضحة وصريحة من خلال قصيدته " خمس رسائل إلى أمي"، حيث يذكر أمه بأنه ما زال طفلا مدللاً، فهو لم يعثر على المرأة التي تعامله معاملة الأم الصغير حيث يقول:

أنا شَاعرٌ لَا يَزالُ على شَفَتَيْهِ
حَليبُ الطفولةِ. [2]

حيث يعتبر نفسه الطفل المدلل والمهذب لأمه حتى في كبره، والذي يحتاج إلى مزيد من الحب والرعاية، حيث يتضح عشقه لها من خلال قصيدته السابقة « خمس رسائل إلى أمي « كما يقول:

أَيَّا أُمِّي
أيَّا أمِّي
أَنَا الوَلَدُ الذِّي أَبْحَرُ
وَلَا زَالَت بِخَاطِرِهِ ...
تَعِيشُ عَرُوسَة السُّكرِ
فَكَيْفَ ... فَكَيْفَ يَا أُمِي
غَزَوْتِ أباً
وَ لَمْ أَكْبُرِ [3]

إذا أقرَّ أن المرأة التي تشاركه كتابة القصيدة هي أمه، وأنَّ حليبها هو الحبر الذي يكتب به، وقد ظل نهدها مصدرا

---

[2]-نزار قباني، خمسون عاما في مديح النساء، منشورات نزار قباني، بيروت، ط 2،ـ 1998، ص 96.

[2] - نزار قباني، تنويعات نزارية على زمن العشق، منشورات نزار قباني بيروت،(د.ط)، 1998، ص 105.

[3]- نزار قباني،الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 530.

المعرفة وينبوعا للدفء والأمان في حياته، وأن ثديها علمه صناعة النهد ورسمه، إذ رمز له بالفخار، حين قال في قصيدته (تولد من أصابعها):

حَلِيبُ أُمِي كان حبرًا أبيضًا
وثَدْيُها عَلَمَنِي صِنَاعَةَ الفَخَارِ. [1]

كما صور نزار أمه بأنها المثال الأعلى، وقام بموازنة بن أمه والنساء التي عرفهن فيسموا بحب أمه على حبهن جميعا، ويقول في قصيدة له:

كُلُّ النِّساءِ اللَّواتِي عَرَفْتُهُنَ
أَحْجَبنني َو هُنَ صَاحِيَات...
وَحْدُهَا أُمِّي...
أَحَبَتْنِي وهِيَ سَكْرَى...
فالحُبُ الحَقِيقِي هُوَ أَنْ تَسْكر...
وَ لَا تَعْرِفْ لِمَاذا تَسْكر...[2]

ثم يتحدث عن أثر أمه في لغته الشعرية، وعن التحولات الطارئة عليها، كلمّا رّشت بالماء إحدى أوراقه المنسية في صحن الدار فيقول:

أُمِّي مُتفشية في لغتي
كلما نسيت من أوراقي في صحن الدار
رشتها أُمِّي بالماء
مع بقية أحواض الزَّرْعِ
فتحولت الألف إلى (امرأة)
و الباء إلى (بنفسجة)

---

[1]- نزار قباني، أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء، منشورات نزار قباني، لبنان، (د.ط) ، سنة 1993، ص 186.

[2] - نزار قباني، (كل عام وأنت حبيبتي)، منشورات نزار قباني، بيروت ط 4، (د.ت)، ص 732.

و الدال إلى (دالية)
و الراء إلى (رمانة)
و السّين إلى (سوسنة) أو سمكة) أو (سنونوة)
و لهذا يقولون عن قصائدي مكيفة هواء
و يشترونها من عند بائع الأزهار.
لا من المكتبة...[1]

فمن خلال القصيدة نستنتج أنّ نزار وصف كل من "المرأة" و"الأم" بأنها المثالية التي أحبها في حياته.

وقد تكررت صورة الأم كذلك في قصيدة أخرى بعنوان (هل تقبلين أن تكوني أمي) حين قال:

عِنْدَمَا يَأْتِي أَيْلُول
أَشْعُرُ بِرَغْبَةٍ قويةٍ
لِلْعَوْدَةِ جَنِينًا عَلى رحِمِ أُمُومتكِ
حَيْثُ رَائحةُ القَرْفَةِ واليَانْسُون، وجَوزَة الطِيِّبِ
و الحليبُ المُرَقَّدُ، ومُربَى النَّارِنْجِ والصاَبونِ النَّابُلْسِي
عندمَا يَأْتي أَيْلُول
أَشْعرُ بِرغبةٍ طفوليَّةٍ قَاهرةٍ
للاخْتِبَاءِ في تَجْوِيف يَدَيْكِ الصَغِيرَتين
وَتَمْزِيقُ كُلَّ الجوَازَاتِ المُزَوَرَةِ التّي أَحْمِلُهَا
وَالعَوْدَة إِلى أصْلِي [2]

فالشاعر هنا يلتحم بشهر أيلول شهر التغير والتحول وعودة الأشياء إلى أمها الأرض حيث أنه أرهقه التعب في

---

[1]- نزار قباني، (كل عام وأنت حبيبتي)، منشورات نزار قباني، المصدر السابق، ص 733 - 734.

[2] - نزار قباني، أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء، المصدر السابق، ص 186.

البحث عن تحقيق رغبة ملحة وهي الرغبة الطفوليّة والأمومة والعودة إلى الأصل.

»لقد بلغت الأم مع نزر درجة أن أضفى عليها طابع القداسة، فهي رمز مثالي لكل شيء صاف وبريء ليس فيه دخلة تعكر صفوه.«[1]

وهكذا كانت صورة الأم عند نزار قباني بكل تفاصيلها واختصاراتها، وبكل مواقفها، وبكل ما حملته الأمومة من حب وحنانٍ ودفئٍ وعطاءٍ لا مثيل له، وبكل أمانةٍ وإخلاصٍ وعفةٍ ونزاهةٍ وطهارةٍ.

وبهذا نرى صوته مرتفعا، ويصف حبه لها الذي لا يعادل حب أحد في الدنيا، ويقرّ بالحب الكبير الذي تبثه فيه، فهي الجزء المهم والرائع من حياته والجانب المشرق في تاريخه، هذا ما نجده في أشعاره ،كيف لا؟ وقد قيدت جّل إبداعاته بها كانت في ثنايا قلبه وشغلته طوال حياته.

[1]- عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 36.

رابعاً: المرأة الزوجة في شعر نزار قباني:

لقد كانت المرأة الزوجة عند نزار قباني حضورها قليـل، وقـد اقتصـر علـى " بلقيـس الـرّاوي " وهـي سـيدة عراقيـة، فكتب فيها (قصيدة بلقيس)، والتي نشرت فـي سـنة 1982، بلقيس المرأة المحظوظة التي حظيت من بيـن كـل النسـاء، فامتلكت قلبه وتربعت على عرشه، لتصل إلى أعمق أعماقه، وتخاطب أحاسيسه، فبالفعل استطاعت أن تفـرّض حضـورها عليه، حيث يقول: » إن المـرأة الـتي تفـرض حضـورها علـى الشاعر هي المرأة التي (تلخبطه) وتشطب كل تاريخه، لتبـدأ كتابته من جديد هي، هـي الـتي تُلغـي زمـن الرجـل الخـاص، وتدخله في زمنها هـي.. هـي الـتي يحضـر بحضـورها الزمـان ويرحل برحيلها.. [1] .«

وهنا نلاحـظ حضـور بلقيـس فـي كتابـات وقصـائد نـزار، حيث استطاعت الجمع بين الحـب والـزواج والشـعر والكتابـة أيضا، فبالإضافة إلى كونها زوجة كانت أيضـا متذوقـة لشـعره وناقـدة لـه، حيـث كـانت تملـك أسـلوبا منفـرد فـي تحليلاتهـا وملاحظاتها وانطباعاتها.

إذ كـانت بلقيـس ملهمـة الشـاعر وقصـيدته ومعجزتـه وقريحته، فكم هو صعب أن يفقد نزار جوهرة نادرة في حياته دون رجـوع، كيـف لـه تصـديق هـذه الفجيعـة والحتميـة الـتي فرضت عليه جبرًا وإكراهاً.

فقد تـوفيت بلقيـس نتيجـة انفجـار حـدث فـي السـفارة العراقية بيروت عام 1981 حيث تعمل، فنظم نزار حول هذه المرأة التي أحبها كثيرا وجعلها وطنه "مرثيـة"، الـتي مـازالت تثير الجدال، إذ يقول عنها نزار: »ولقـد كتبـت بلقيـس مرثيـة طويلة عنوانها قصيدة بلقيس، أشـعلت الحرائـق فـي الـوطن

[1] - نزار قباني، المرأة في شعري وحياتي، المصدر السابق، ص 18.

العربي من المحيط إلى الخليج ... وكانت إدامته واضحة للبشاعة والجاهلية وأكاذيب التاريخ العربي « .[1]

كتب نزار قباني هذه القصيدة بحرقةٍ وحزنٍ وألمٍ كبير، وذلك لتأثره بفقدان حبيبته التي اغتيلت غدرًا، ويصرح في شأن هذا قائلا: " إن غياب بلقيس ... هو غياب لكل القيم الجميلة في هذا الوطن الشقي ... الذّي لم يجد ما يأكله سوى القصائد، والأقمار، والفراشات.. والأنوثة... إنه عصر الانحطاط ... بكل ما تعنيه الكلمة ... فحين يصبح ذبح الغزلان وقصائد الشعر هو ذروة البطولات العربية فما أحقر هذه البطولات ".[2]

استهل الشاعر قصيدته " بلقيس" باتهام وإلقاء سخطه وغضبه على العالم العربي بقتل حبيبته وزوجته، فقال:

شُكْرًا لَكُمْ..
شُكْرًا لكُمْ..
فَحَبِيبَتِي قُتِلَتْ..وَ صَارَ بِوسْعِكُمْ
إنْ تشربوا كأسًا عَلى قَبْرِ الشَهِيدة
وقَصِيدَتِي اغْتليتْ..
وَ هَلْ مِنْ أُمَّةٍ في الأرضِ..
إلاَّ نَحْنُ تَغتَالُ القصيدةُ ؟[3]

حيث نلاحظ أنّ الشاعر يصف بلقيس بأجمل الملكات، فيشبهها بملكة "سبأ " ليس من باب المصادفة، وإنما تماثلها وتضاهيها جمالاً وأهبةً ودلالاً، والتي تحدث عنها القران الكريم (**فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ**

---

[1]- أم سهام، جولة مع القصيدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، سنة 1986، ص 162.

[2] - أم سهام، جولة مع القصيدة، المرجع السابق، ص 162.

[3] - نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، ج 4، بيروت – لبنان، ط 2، اغسطس 1998، ص 09.

وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِيـنٍ)[1] ، كمـا أيضـا شـبهها بـأطول النخلات فـي تاريـخ بابـل، والنخلـة رمـز معـروف يـوحي إلـى العطـاء والكـرم والحيـاة والبقـاء، أمّـا إذا مَشَـت فترافقهـا الطواويس وتتبعها الأيائل.

وها هو يقول:

بلقيسُ ..
كانَتْ أجملَ المَلِكَات في تَاريخ بابلْ
بلقيسُ
كانَت أَطوَلَ النَّخلاتِ في أرضِ العراقِ
كانَتْ إذَا تَمْشِي ..
ترافقُها طَوَاوِيس ..
وتَتبَعُهَا أيَائِلَ ..[2]

ويقول أيضًا:

بلقيس..يا وَجَعي..
وَيَا وَجَعَ القصيدةِ حين تَلْمَسُهَا الأنامِلْ. [3]

ويتساءل من بعد رحيل شعرها، هل ستزهو السنابل وترتفع؟

وهل يا ترى
من بعد شعرك سوف ترتفع السنابل؟.[4]

فقد صور لنا في هذه الأبيات شده تأثره بفقدان حبيبته التي اغتيلت غدرًا، حين قال:

أَيَتُهَا الشَهِيدة..و القصيدة ..
وَ المُطَهَرَّةُ النَّقِيَّة..
سَبَأٌ تُفَتِّشُ عن مَليكَتِهَا ..
فَرُّدِي للجَمَاهير النَحِيَّة ..
يَا أَعْظَمَ المَلِكَات..

---

[1] - سورة النمل، الآية 22.
[2]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج 4، المصدر السابق، ص 10.
[3]- المصدر نفسه، ص 11.
[4]- نفسه، ص 11.

يَا امْرأَة تُجَسِّدُ كُلَّ أَمْجَادِ العُصُورِ النُومَرِيَّة
بلقيس..
يَا عَصْفُورَتِي الأعْلى ..
وَ أَيْقُونَتْي الأغْلى
وَيَادَ مَعًا تَناثَرَ فوق خَدٌّ المجدليَّة.[1]

ومن خلال هذه المقاطع بين لنا الشاعر مكانة بلقيس، إضافة إلى ذكر محاسنها ومزاياها من (شهيدةٍ، وقصيدةٍ، ومطهرةٍ، ونقيةٍ...)، فكأنّه يصور لنا مشهدًا سينمائيًا من سمفونية الحياة، فكيف الأعلى عشق وأغلى حبيبة على قلب نزار أن تموت وتفارق الحياة للأبد.

إن نزار في هذه الأسطر يصف لنا مدى اشتياقه لها، وقد نعتها بالعصفورة الأحلى، والأيقونة الأعلى، ليترك الشاعر نفسه ليتخيّل قليلا ذكريات الماضي، فإذا كل شيء يُّذكِرُه بها، الأولاد، البيت الصغير، نشرة الأخبار، والسجائر:

بلقيس..
مُشْتَاقُون.. مُشْتَاقُون.. مُشْتَاقُون
والبَيْتُ الصغيرُ..
يَسْأَلُ عَنْ أَمِيرَتِهِ المُعطَّرة الذُّيُولْ.
نصغي إلى الأخبار..و الأخبار غامضة.
ولا تروي فضول..
بلقيس..
مذبوحون حتى العظم..
والأولاد لا يدرون ما يجري..
ولا أدري أنا ..ماذا أقول؟[2]

ويتخيلها أحيانا أنها ستقرع الباب بعد دقائق، وأنّها ستدخل عليه باسمة، وناضرة ومشرقةً:

[1]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج 4، المصدر السابق، ص 19- 20.
[2] - نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج 4، المصدر السابق، ص 28- 29.

هل ستقرعين الباب بعد دقائق؟
هل تخلعين المعطف الشتوي؟
هل تأتين باسمةً..
وناضرةً..
ومشرقةً كأزهار الحقول؟[1]

ويقول في موضع آخر من القصيدة وهو متحسر ومتأسف على موتها وفقدانها وهذا ما بعث في نفسيته الألم والحزن:

مَطْعُونُونَ..مَطْعُونُونَ في الأعْمَاقِ..
وَالأحْذَاقُ يَسْكُنُهَا الذُّهُول
بلقيس..
كيف أخذتِ أيَّامي .. وأحلامي ..
وألغيتِ الحدائقَ والفصُولْ..
يازوجتي..
وحبيبتي.. وقصيدتي.. وضياءَ عيني..
قد كنتِ عصفوري الجميلَ..
فكيف هرَبَتِ يا بلقيسُ منّي؟.. [2]

وهكذا نجد نزار قباني في مرثيته هذه يتقاطر قلبه دمًا بمغادرة حبيبته، فغادرت بلقيس حياة نزار غادرته إلى الأبد غادرته الدمعة والابتسامة، والكلام والسكوت، وكل شيء جميل، فهي لاصقة بذاكرته، تتبع خطاه، فهي موجودة في كل أنحاء البيت، والجدير بالذكر أن - بلقيس- ظلت المرأة الأكثر حظا من بين النساء اللواتي عرفهن في كسب عواطفه وحبه الشديد، ولم تكن له زوجة فحسب بل أماً كذلك، فكانت بلقيس الأم المثالية المقدسة.

---

[1] - المصدر نفسه، ص 30.
[2] - نفسه، ص 33- 34.

لذا أثرت هذه القصيدة في الشعوب وجمهور وقراء هـذا الشـاعر العظيـم، لأنهـا مشـحونة بـالحب والحـزن والألـم والغضب، وهو بين حيـرةٍ وحسـرةٍ إلـى أن يصـل إلـى نقطـة مفصلية أنه لا مردَّ لقضاء الله وقدره.

وبعد كل هذا نرى نـزار قبـاني قـد أعطـى للمـرأة صـور كـثيرة، واعتبرهـا منبعـا يسـتلهم منـه أشـعاره، فصـورها فـي أحسن تصويرها فكانت صـورة للأم، وصـورة أخـرى للزوجـة، حتى اعتبرهما "الرمز والمثال والقدوة" في وجـوده وأسـاس حياته.

الفصل الثالث:

صورة المرأة المثالية والواقعية في شعر نزار قباني

أولاً: المرأة المثالية في شعر نزار قباني:

لا يخرج نزار قباني عن صورة المرأة المثال في الـتراث القديم، فلا تزال المرأة المثـال فـي نظـره تلـك المـرأة ذات الرفعـة والسـموِّ فـي المجتمـع، المـرأة الـتي اسـتطاعت أن تحتـل عقلـه وجـوارحه لدرجـة جعلتـه يصـفها ب"القديسـة" يطلب التبرك منها.

كما هي تلك المرأة التي تفوح من قفطانها رائحة البخور والكافور، وفي هذا المقام يقول نزار:

يا امرأة ..
تفوح من قفطانها رائحة البخور، والكافور، والبهار
يا امرأة ..
تفوح من ضحكاتها
راحة الأمطار
أخاف إن تركتني يوما
بأن يأكلني الغبار...
كوني، إذن...
قصيدتي ووردتي.
كون، إذن...
صفصافتي ونخلتي
فربما استطعت، يا سيدتي
بالشعر..
أن أشجّر الصحراء [1]...

كذلك في قصيدة "امرأة من دخان"، يصور فيها الشـاعر المرأة المثال، المرأة التي يستحيل وجودها، فيقول فيها:

لا تدُقي بابي .. وظلي بعمري
مستحيلا ما عانقته الظنونُ

[1]- نزار قباني، هل تسمعين صهيل أحزاني، المصدر السابق، ص 61- 62.

أنت أحلى ممنوعة الطيف، خجلى
يتمنَّى مرورَكِ .. الياسمينُ
لا أريدُ الوضوح .. كوني وشاحاً
من دخانٍ .. وموعداً لا يحينُ
ولْتَعيشي تخيُّلاً في جبيني
ولتكوني خرافةً لا تكون
اتركيني أبنيكِ شعراً.. وصدراً
.....
لا تجيئي لموعدي .. واتركيني
في ضلالٍ يبكي عليه اليقينُ
و احرقيني إذا أردتِ فإني
لا أطيقُ الجمالَ حين يلينُ
أننا ما دمتِ في عروقي همْساً
فإذا كنتِ واقعاً لا أكونُ ![1]

إذ يقول نزار في قصيدته "الشجرة":

كوني بشرا يا سيدتي
كوني الأرض، وكوني الثمرة ...
كي لا يروي يوما عني ...
أني كنت أضاجع شجرة...[2]

أمّا هنا يطلب شاعرنا من الشجرة أن تكون إنساناً وبشراً يلجأ إليها، وأن تكون أرضاً، لأنّ الأرض أم للبشر جميعاً، ومن هنا نرى أن الأرض والمرأة يتشابهان ووجه شبه القائم بينهما، هو "النماء والعطاء والخصب"، ولا يتم هذا الأمر إلا بشروط وهي إلاّ بنزول المطر فهكذا هي المرأة

[1]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 161- 162.

[2]- نقلا عن: عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 73.

العقيمة التي إذا أصيبت من ماء الرجل تصبح قادرة على الإنجاب، ولعلّ هذا ما قاله الشاعر في قوله في السطر الأخير أنه يريد أن يضاجع شجرة، بل هو ما يقصده أن يضاجع امرأة لتنجب له البنات والبنين، وتكوين أسرة مستقرة معها، وهذه الصفات المثالية للمرأة عند العرب القدامى، فالمرأة لا معنى لها إلا حينما تؤدي وظيفة الإنجاب والولادة.

كما نجد قصيدة أخرى وهي قصيدة "ربّما" والتي يصف فيها المرأة بأنها أرّق وأحلى عروس على وجه الأرض، بل هي أرفع وأرقى من ذلك كله، حيث شبهها بالقمر والشمس، فيقول فيها:

ربّما كنت أرق امرأة..
وجدت في الكون، وأحلى عروس...
ربّما كنت برأي الآخرين
قمر الأقمار، أو شمس الشموس.[1]

وأيضاً في قصيدته "قصيدة منتهية في العشق" فيقول فيها:

حين أحببتك..
لاحظت بأن الصيف يأتي..
عشر مرات إلينا كل عام..
و بأن القمر ينمو..
عشر مرات لدينا كل يوم..
و بأن القمر الهارب من بلدتنا..
جاء يستأجر بيتا وسريرا..
و بأن العرق الممزوج بالسكر والينسون..
قد طاب على العشق كثيرا. [2]

---

[1]- المرجع نفسه، ص 74.
[2]- عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 75.

إذن هـذه هـي صـورة المـرأة المثاليـة المقدسـة الـتي مهمتها الإنجاب والعطاء والخصوبة، والجدير بالذكر أنّه سـبق وتحدثنا عن المرأة بصفتها الأم وبصـفتها الزوجـة الـتي كـانت "رمز ومثال"، وكلاهما ينتميان للمرأة المثالية في شـعر نـزار قباني.

ثانياً: المرأة الواقعية في شعر نزار قباني:

تعد المرأة الواقعية قضية من القضايا التي كـثر الجـدال حولهـا، والـتي نعنـي بهـا هـي تلـك المـرأة الجنـس، والمـرأة المبتذلة، والسيئة الأخلاق، فموضوعها في شعر نـزار قبـاني، لا يمكن أن ندرسه إلاّ بالنظر إلى الواقع الذي عاش فيـه، لأن لكل عصر واقعه، والأديـب مرتبـط بـواقعه، ووسـائل إنتـاجه، فالأمر الملفت للنظـر عنـد نـزار هـو اسـتغراقه وتغلغلـه فـي شعر الحب وتصوير جسد المرأة تصـويرا دقيقـاً، لـذلك نجـده أعطى أهمية فائقة وبالغة للمرأة، حيث أنه عالج في قصائده "المــرأة الواقعيــة" كــالمرأة البغــي، والمــرأة العاشــقة والمعشوقة، والمرأة الذليلة، والخ...،

فقد تفنن نزار في تصـوير هـذه المـرأة بأجمـل الصـور، فلم يكتف بوصفها روحا وجسدا فقط، بل وصف حتى طمثهـا بلا حـرج، وبهـذا لقـي نقـد كـثر، إذْ اتّفقـوا عليـه، وقسـموا المراحل التي مرّ بها هذا الشاعر إلى خمـس مراحـل، ولعـلَّ

مـن أهـم النقـاد نجـد مـن بينهـم (خريسـتو نجـم) فـي كتـابه "النرجسية في أدب نزار قباني" والذي كان كالأتي:

-1 مرحلة العطش والجوع.

- 2مرحلة ما بين الذات والآخرين.

3- مرحلة الارتواء والانطواء.

- 4مرحلة التخمة وإفلاس الشعور.

- 5مرحلة الهاجس الزمني.[1]

وبهــذا رأوا مــن خلال تقســيمهم أن الشــاعر محاصــر بالتحكمات الزمنية والنفسية التي أثرت على هواجسه.

فكيف صوّر نزار قباني المرأة الواقعية ؟ وهل كانت لهـا صـلة بالشـعر القـديم؟ وهـذا مـا سـنبينه مـن خلال قصـائده الشعرية، حيث جاء في قصيدة (نهداك):

لا تفزعي.. فاللثم للشعراء غير محرم
فكي أسيري صدرك الطفلين.. لا.. لا تظلمي
نهداك ما خلقا للثم الثوب.. لكن.. للفم
مجنونةٌ من تحجب النهدين.. أو هي تحتمي
مجنونةٌ.. من مر عهد شبابها لم تلثم..

****

... وجذبت منها الجسم، لم تنفر ولم تتكلم
مخمورةٌ.. مالت علي بقدها المتهدم
و مضت تعللني بهذا الطافر المتكوم
و تقول في سكرٍ، معربدةً، بأرشق مبسم
"يا شاعري.. لم ألق في العشرين من لم يفطم..[2]

فمن الشـجاعة أن نجـد شـاعرًا تكلـم عـن المـرأة بكـل جرأة، وأن يشخص جسدها في مجتمع كتوم، هكذا كان شـأن

[1]- ينظر : خريستو نجم، النرجسية في أدب نزار قبـاني، دار الرائـد العربـي، بيـروت (ط 1)، 1983 م، ص 23- 24.

[2] - نزار قباني، ديوان أحلى قصائدي، منشورات نزار قباني، بيـروت، (د. ط)، 1980 م، ص 108.

نزار قباني الذي حاول أن يجعل العشق مثـل المـاء والهـواء، دون أي حاجز.

كمـا نجـده تحـدث عـن ردّات الفعـل المصـاحبة لـديوانه (قـالت لـي السـمراء) : " وبلحظـة تحـرّك التاريـخ ضـدّي ..و تحرّك التاريخيون . رفضـوا الكتـاب جملـة وتفصـيلاً.. رفضـوا عنوانه، ورفضوا مضمونه، ورفضوا حتى للون ورقه.. وصـورة غلافه .. هاجموني بشراسة وحش مطعون .."[1]

فقد سمّى هذا الديوان ب "ديـوان الفاسـق والبغـي"، إذ كتب الشيخ علي الطنطـاوي فـي مجلـة (الرسـالة) المصـرية عن نزار وعن كتابه حيث قال: ... »يشـتمل علـى وصـف مـا يكون بين الفاسق والقارح والبغي المتمرسـة الوقحـة وصـفا واقعيـاً، لا خيـال فيـه[2] «...، فحـاول نـزار قبـاني فـي هـذه القصيدة أن يكسر الأغلال ويحرر النهدان من قبضـة الأثـواب، فما خلقا للثم الثوب بل للثم الفم.

ومن يستقرئ القصيدة يلاحـظ أن هـذا الموقـف يتشـابه مع موقف طرفة بن العبد مع ندمائه في حضرة القيان تـروح وتغـدو عليهـم، وهـنّ مـن البغايـا اللـواتي يتجسّـس النـدامى أجسادهن دون تحرك، بل كنّ رفيقات بهم.

نَدمَايَ بيضٌ كالنُّجومِ وقينةٌ **تَروحُ عَلَيْنا بَينَ بُردٍ ومُجسَدِ**
رَحيبٌ قطابُ الجيبُ *** **بِحبسِ النَّدامَى، بَضَّةُ**
منها، ورَفِيقةَ *** **المتجرِّدِ**
إذا نحنُ قُلنَا أسْمِعينَا *** **عَلى رَسْلِهَا**
أنبرتْ لَنَا **مَطروفَةَ لم تَشدُّدِ[3]**

أما في قصيدة "تنويعات موسيقية عن امـرأة متجـردة"، والـتي يركـز فيهـا الشـاعر علـى النهـود لا علـى شـيء أخـر،

[1] - نزار قباني، قصتي مع الشعر، المصدر السابق، ص 90.
[2] - ينظر: المصدر نفسه، ص 91.
[3] - نقلا عن: عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 79.

ويصفها مرة ديكا، والذي هـو رمـز "للعمـل والتبكيـر"، ومـرة حقلا مـن القطـن، ومـرةً خروفـا صـغيرا يأكـل العشـب مـن صـدره، ومـرةً أخـرى بحصـان بغيـر سـرج، ليختـم القصـيدة بوصف النهد بالملك والعظمة:

كانَ في صدركِ دِيكانِ جَميلانِ..
يَصِيحَانِ كثيرًا...
وَ ينامَانِ كثيراً....
وَ أنا كُنْتُ بِلاَ نَوْمٍ...
و كانَ الشَرشَف المشْغُول بالإبرةِ..
مزروعاً عصافير..
وَ وُروداً ونخيلاً..
.....
كانَ في صَدركِ حَقْلاَنِ مِن القُطنِ...
وكانَ البرنسُ الأحمر مفتوحاً من النصفِ...
وكانَ المرمرُ الأخضر في الحمامِ...
مَذبوحاً من الشوقِ...
.....
كانَ نهداكِ خَروفَيْنِ صَغيرَيْنِ...
وكانا يأكلانِ العشبَ من صَدري...
وكانَ الصوفُ مِنْ كَشْمِير... منثوراً على وجهي..
وَ قمصاني...
.....
كانَ نهداكِ حِصَانَيْنِ بِلاَ سرج..
وَكانا يشربانِ الماءَ من قعرِ المرايا
وَ أنا من أمةٍ تحترم الخيل..
وَما للخيلِ منْ طبع كريم.. وسَجايا
آه لو قدمت لوزاً للحصانين..
و تيناً.. وزبيباً..

آه لكن هاجرت مني يَداي
شَهْوَتِي سَيف حجَازي ..
ونهداكِ كأرضِ الروم ..
كفر من علّ الخَطاياَ..
.....
كانَ نهداكِ مَلَكَيْنِ عَظِيمَيْنِ ..
وكانَا يَحكُمَانِ البر والبحر ..
وكانَ العدلُ موفوراً ..
.....
عاصرت نهديكِ ...
وقدمت وَلاَئي لهما ..
مثل مَلاَيين الرعاياَ. [1]

ومن هنا يتضح لنا أن صورة المرأة الواقعية في شعر نزار لا تختلف نوعا ما في شعر طرفة بن العبد البكري إلاّ بفارق واحد، وهو أن نزار كان يجمع بينها وبين القرن العشرين.

أمّا إذا أردنا أن نستزيد لابد لنا أن نعود إلى قصائده المشهورة بالمرأة البغي، التي صورها تصويراً واقعياُ، ولعلّ نذكر منها قصيدة "البغي"، و"إلى أجيرة"، و"الخرافة"، و"القصيدة المتوحشة".

[1]- نقلا عن: عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 81.

ثالثا: المرأة البغي عند القباني:

وهي المرأة الساقطة التي شغلت حيزا كبيرا في حياة نزار قباني، فلم يكن نزار هو أول من رسم صورة هذه المرأة في شعره، بل كان قبله عديد من الشعراء والأدباء، كانت لهم مواقف متفاوتة من البغي، من أمثال أبي شادي، علي محمود طه، وجبران خليل جبران...، فمنهم من يرى أنها مدفوعة إلى الأمر دفعا لا حيلة لها في الخروج من هذا الوضع المرير، ومنهم من يراها بأنها مسؤولة على ما وقعت بذهابها إلى دهاليز البغاء، وهي في كامل عقلها، حتى وإن كانت إلى أمس الحاجة للعيش، إذ هناك عدة طرق تكفيها لكسب الحلال والعيش في العزة والكرم دون أن تعرض جسدها للبيع.

ولو رحنا نتابع هذه القضية عند الكثير ممن تداولها، لوجدنا من الأدباء

المومس خاطئة بالعرض، نقية الجوهر حيث قال:

الجَوْهَرُ الصَافي يَبْقَى إلى رمس
كَمْ مِنْ مُومس * تَمْضِي عَذْرَاء**
***** الرمْس.[1]**

أمّا من الذين رأوا أن الفحشاء هي طبع متأصل فيها، منهم أمين ناصر الدين:

أفاتنةَ الأغرارِ أنتِ وأَنتِ عَدُوٌّ للفضيلَةِ
شَقاؤُهُمْ أَزْرقُ
وعُلِّقَ قَلبِي بين جنبيك * فَمَا غَزَّ حُرًّا أَنَّ وَجْهَكَ**
مظلمُ * مُشْرِق**
ووالِيتِ إبليسَ الرّجِيمِ * رَقَصْتِ فإبليسُ**
فحيثُمَا الرَّجيمُ يصفِّقُ.[2]

[1] - نقلا عن: صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 80.
[2] - المرجع نفسه، ص 80.

وكما نجد الأخطل الصغير قد وُفّق في شرح حال المرأة في قصيدته "الريال المزيف"، حيث سامها أحـد الشـبان فـي عرضها، بعدما علم حاجتها الماسة إلى المال، وذلك خصوصـا بعد موت زوجها في الحرب، فتجيبه في قولها:

سَامَ الفَتى عِرْضِي كاسِي الغِنَى عَارٍ
فَيَا لَكَ مِنْ فَتَى * الأخلاقِ[1]**

وبهذا يقوى عليها الجوع، فأعطاها الفتى ريالا مزيفا، فبهرها وكـان ثمينـا لشـرفها، فـذهبت هـذه المـرأة لتشـتري لابنتهـا المشرفة إلى الموت طعاما، إذ بها تكتشف زيفه:

سقَطْتُ على قَدَمِ * عينُ العُلى ومَكَارِمُ**
الشَّقا فبَكَتْ لَهَا الأخْلاقِ[2]

ترى كيف عالج نزار قباني موضوع البغي؟ وهـل عطـف عليها ورثى لحالها؟ أم حملهـا المسـؤولية لأنهـا مندفعـة بكـل إرادتها ووعيها، أم تعامل معها شهوة تتلظّى وتتلمّظ ؟.

هذه المرأة البغي وردت في شعره مقنعة بقناع الحبيبة، وهو يحاول نزع قنـاع الحـب والعفـة، وخيـر دليـل علـى ذلـك وجدناه في قصيدة مطولة له ،الـتي كـانت بعنـوان "البغـي"، حيث يضع المرأة في صورة ذئب جائع يحسـن اقتنـاص اللّـذة أينما وجدت، مع الشاعر، أو مع سـواه، فالشـاعر هنـا يعـرض تفاصيل العملية دون حرج، وبكل صدق.

علقتْ على بابها قنديلها
نازفَ الشريانِ، مُحمرَّ الفتيلهْ
في زقاقٍ ضَوَّأتْ أوكارُهُ
كلُّ بيتٍ فيه، مأساةٌ طويلَهْ
غرَفٌ .. ضيِّقَةٌ .. موبوءةٌ
و عناوينُ لِـ (ماري) و(جميلَهْ)

---

[1] - نفسه، ص 80.

[2]- نقلا عن: صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 80.

و بمقهى الحيِّ.. حاكٍ هَرِمٌ
راح يَجْتَرُّ أغانيهِ الذليلَهْ
وعَجوزٌ خلفَ نرجيلتها
عُمْرُها أقدمُ من عُمْر الرذيلَه
إنَّها آمِرَةُ البيتِ هنا..
تَشْتُمُ الكسلى، وتَسترضي العَجولَهْ
و أمامَ الباب.. صُعلوكٌ هَوَىً
تافهُ الهيئة، مسلوبُ الفضيلهْ
يعرضُ اللحمَ على قاضِمِه..
مثلما يعرضُ سَمْسَارٌ خيولَهْ
هذهِ.. جاءتْ حديثاً.. سيِّدي
ناهدٌ ما زالَ في طور الطُفُولهْ..
أو إذا شئتَ.. فرافِقْ هذهِ
إنَّها أشهى من الخمر الأصيلَهْ..[1]

استهل الشاعر قصيدته بوصف واقعي، وهو وصف أوكار البغاء، والأزقة، والعناوين، إذ كانت هناك عجوز خرقاء أنهكها الزمن، وردّها إلى أرذل العمر، فكانت تعلق لافتة على بابها لتدل على قذارتها، تستقبل الكلاب الجوعى، فهو ليس بيت واحد، بل عدة بيوت، وفي كل بيت امرأة، ولكل امرأة حكايتها وقصتها مع الزمن، حيث تحس نفسها كأنها تاجرة تستدرّ الدراهم، ويوجد على عتبة الباب صعلوك يعرض النساء على الزبائن.

أما هنا نجد الشاعر يقف وقفة تأمل أمام هذه المرأة، ويصف هذا الموقف بالرق، حيث ترتمي أنثى تحت شاريها بدراهم معدودات، وهي في شرخ شبابها إذ يقول:

أيُّ رِقٍّ .. مثلَ أُنثى ترتمي
تحت شاريها، بأوراقٍ ضئيلَهْ
قيمةُ الإنسان، ما أحقَرَها

[1]- نزار قباني، ديوان أحلى قصائدي، المصدر السابق، ص 113- 114.

زَعَموهُ غايةً.. وهْوَ وسيلهْ[1]

ثم ينتقل إلى وصف فتيات كـالزهر قـد دنسـتهم الرذيلـة والدناءة، ينتظرن دخول المجزرة، حيث يلقين حتفهن، وذلــك مما زاد حرة الشاعر وبعـث فـي قلبـه الحـزن والأسـى، وقـد حمّــل الشــاعر العجــوز مســؤولية إفســاد هــؤلاء الفتيــات، وإدخالهن في عالم الفسق، فيقول:

لو تَرَى الرُدْهَةَ فيها اضْطَجَعَتْ
كلُّ بنتٍ كانفتاح الزَهَرَهْ
نَهْدُها منتظرٌ جَزَّارَهُ
صابرٌ حتى يُلاقي قَدَرَهْ
هذه المُذْهَبةُ السِنِّ.. هنا
ترقُبُ البابَ بعينٍ حَذِرهْ
حَسرَتْ عن رُكبَةٍ شاحبةٍ
لونُها لون الحياة المُنكرَهْ
مَنْ سيأتي؟ مَنْ سيأتي معها؟
أيُّ صُعْلوكٍ، حقيرٍ، نَكِرَهْ؟
وهناكَ.. انْفَرَدَتْ واحدةٌ
.....
من رآهُنَّ.. قواريرَ الهوى
كنعاجٍ بانتظار المجْزَرَه
كم صبايا، مثلَ ألوان الضُحى
أفْسَدَتْهُنَّ عَجُوزٌ خَطِرَهْ [2]

وبعد أن يحمل تلك العجوز الخرقاء المسؤولية، فيتحــول بوصفها، فإذا هي مجدورة الوجه، معروقة السـاق، ربمـا كـان هذا جزاء فعلتها الشنيعة،

هذه مجدورة الوجه انزوت

---

[1] - المصدر نفسه، ص 114.
[2] - نزار قباني، ديوان أحلى قصائدي، المصدر السابق، ص 115 - 116.

كوباءٍ.. كبعيرٍ نَتِنٍ
مثلَ مَيْتٍ خارجٍ من كَفَنٍ..
حُفَرٌ في وجهها مُرْعبةٌ
تَرَكَتْها عَجَلاتُ الزَمَنِ..[1]

ثم توجه تلك العجوز الطاعن في السن خطابا مُوجهًا إلى لصوص اللحم وتجّاره، واصفة إياهم بالذئب.

يا لصوصَ اللحم.. يا تجَّارَهُ
هكذا لحمُ السَبَايا يُؤكَلُ
أنتمُ الذِئبُ.. ونحنُ الحَمَلُ
تَفْعَلُ الحُبَّ، ولا تَنْفَعِلُ..
أُنْبُشُوا في جُثَثٍ فاسِدةٍ
سارقُ الأكفانِ لا يَختَجِلُ
وارقُصُوا فوق نُهُودٍ صُلِبَتْ
ماتَ فيها النورُ.. مات المُخْمَلُ [2]

ولا ينسى أن يرسم في قلب تلك المومس من أحلام ضائعة، وآمال تائهة:

أشْتهي الأسرةَ والطفلَ .. وأنْ
يحتويني، مثلَ غيري، مَنْزِلُ[3]

فهذه المرأة تعيش بين الحلم والواقع، فإنها تشتهي ككل النساء أن تكون لها رسالة نبيلة في هذا الوجود تؤديها، وتسعى من أجل تحقيقها، وهي تأسيس أسرة تسودها الحنان والعطف، وطفل يحبو بين يديها ويؤنسها، ولكن بعد فوات الأوان.

وفي الأخير نرى هذه المرأة البغي تنصب محامية للدفاع عن نفسها، وتدعوا الجميع إلى رجمها لارتكابها تلك الخطيئة الشاحبة، وكأنها هي الوحيدة الساقطة.

---

[1] - نزار قباني، ديوان أحلى قصائدي، المصدر السابق، ص 116.
[2] - المصدر نفسه، ص، 118.
[3] - نفسه، ص 118.

أمّا في القصيدة الثانية، والـتي تعـج بالحـديث عمـا يـثير فتنـة الرجـال، كمـا تصـور الخيانـة الزوجيـة، وهـي "مُدنّسـة الحليب"، حيث يصف فيها الشاعر امرأة بغي تخون وتسـتغل غياب زوجها الطيب الذي ائتمنها على شرفه وولـده، وإذا بهـا هي تطعم زوّارها في غيبته من ثـديها، وتسـقيهم مـن حليبهـا المدنس، ليصـبح مـوردا لهـم، كمـا تكشـف أيضـا عـن علاقـة طفولية، ويختمهـا بالحـديث عـن مسـألة النسـب، وذلـك مـن خلال ما قامت به هـذه المـرأة السـاقطة مـن تشـويه نسـب ولدها لأبيه.

أطعميه .. من ناهديكِ أطعميهِ
و اسكبي أعكرَ الحليب بفيهِ
اتّقي اللهَ .. في رُخامِ مُعرَّى
خشبُ المهد كاد أن يشتهيهِ
نشفتْ فورةُ الحليب بثدييكِ ..
طعاماً لزائرٍ مشبوهِ ..
زوجُكِ الطيّبُ البسيطُ .. بعيدٌ
عنكِ، يا عِرضَهُ وأمَّ بنيهِ
.....
أو آذاكِ يا لئيمةُ .. حتى
في قداساتِ نَسْلِهِ تُؤذيهِ؟
كم غريب أدخلتِ للمخدع الزوجيِّ
يأبى الحياءُ أن تدخليهِ
استغليّ غيابَهُ .. رُبَّ بيتٍ
هدَمتْهُ تلك المقيمةُ فيه
و الرضيعُ الزّحافُ في الأرضِ يسعى
كلَّ أمرٍ من جوله لا يَعيهِ
أمُّهُ في ذراع هذا المسجَّى
إن بكى الدهرَ سوفَ لا تأتيهِ

أأبو الطفل ذلك الزائرُ الفظُّ
العميق العاهاتِ والتشويهِ ..
أأبوه هذا؟ ويا رُبَّ مولودٍ
أبوه الضجيعُ .. غير أبيهِ..
إن هذا الغذاءَ يفرزهُ ثدياكِ
ملكُ الصغير .. لا تسرقيهِ
إن سقيت الزوّارَ منه .. فقِدْماً
لعقَ الهَرذُ من دماء بنيهِ..[1]

ومن هنا تتضح لنا في هذه القصيدة صورة القبح والنذالة التي يثيرها الجسد الأنثوي حين تتجلى عناصر الجمال فيه.

أمّا القصيدة الثالثة (قصيدة حبلى) فهي قصيدة تحكي عن حادثة واقعية، تتضمن صورًا مغايرة لما سبق، وهي رسالة من فتاة مغرورة خدعها شاب وأذلها وأذل شرفها، حيث صور لها السرير بسحابة عابرة تنقلها إلى عالم سحري، إذ بها تشاطره إيَّاه، وتلبي رغبتها ورغبته، لتنهض من سباتها على انتفاخ بطنها حاملة الإثم في أحشائها من بذور تلك الخطيئة التي ارتكبتها، فتتوجه إلى ذلك الشاب الذي شاركها في الإثم، فيشتمها ويطردها، ويقذفها بخمسين ليرة مقابل فعلته، وبعدما أن يئست أنثى نزار اتجهت نحو حل، وهو إسقاط ما في بطنها خشية من أن يكون له أب نذل.

لا تَمْتَقِعْ ...
هي كِلْمَةٌ عَجْلى
إنّي لأَشعُرُ أنّني حُبلى ..
و صرختَ كالمسلوعِ بي:
((كَلاّ)) !
سنُمَزِّقُ الطفلا
و أخذْتَ تشتِمُني

[1]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 78 - 79.

و أردْتَ تطردُني
لا شيءَ يُدهِشُني
فلقد عرفتُكَ دائماً نَذْلا ..
.....
ليرائُكَ الخمسون .. تُضحكُني.
لمَن النقودُ .. لِمَنْ ؟
لتُجهِضَني ؟
لتخيطَ لي كَفَني ؟
هذا إذَنْ ثَمَني ؟
ثمنُ الوَفا يا بُؤرَةَ العَفَنِ
أنا لم أجِئكَ لِمالِكَ النتِنِ
)) شكراً .. ((
سأُسقِطُ ذلكَ الحَمْلا..
أنا لا أريدُ لهُ أباً نَذْلا..[1]

أمّا قصيدة (إلى أجيرة) قصيدة اجتماعية ظهرت في ديوان (قصائد) 1965، فأثارت جدالا طويلا في وقتها، حيث رسم لنا نزار المرأة التي استغلها الرجل الثري واشتراها بدراهمه، لا بالحديث الناعم، ولا بالحب، بل بالمال، كما استغل عزّتها وكرامتها، من أجل تحطيم كبريائها، بعدما تمنّعت أو حاولت ذلك، لكن كل محاولاته فشلت، واستطاع أن يخترقها، ويستدرجها بأشياء وأكاذيب تجلبها، لتضعف وتنثني أمامه كالقطة العمياء، وتسقط في حبائل المال والشهوة، على حد قوله:

بدراهمي..
لا بالحديث الناعمِ
حطَّمتُ عِزَّتَكِ المنيعة كلَّها بدراهمي
و بما حملت من النفائس والحرير الحالمِ

[1]- نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 340 – 342.

فأطعتني

و تبعتني

كالقِطَّةِ العمياء، مؤمنةً بكلّ مزاعمي..[1]

أمّا في الأبيات الموالية نرى هـذه المـرأة المسـكينة قـد استسلمت، حتى أصبحت كالخاتم في يده يدورها كما يشاء،و أصـبح صـدرها المغـرور مـن ممتلكـاته يعبـث بـه كمـا يحـب، وأصبح ثغرها خادما له.

فإذا بصدرك – ذلك المغرور – ضمن غنائمي

أين اعتدادك ؟

أنت أطوع في يدي من خاتمي

قد كان ثغرك مرّةً

ربّي، فأصبح خادمي[2]

وها قد ركله وذلّه ذلك الطود المارق بشـيء مـن المـال والأسـاور والـذهب والـديباج، طالبـا منهـا أن تقـاوم، لتصـبح مسكينة ضعيفة لا قوة لها.

آمنت بالحسن الأجير وطأته بدراهم

وركلته . وذللته..

بدمىً، بأطواقٍ كوهم الواهم..

ذهبٌ وديباجٌ

وأحجارٌ تشع.. فقاومي

أي المواضع منك

لم تهطل عليه غمائمي

خيرات صدرك كلها

من بعض بعض مواسمي..

.....

مسكينةٌ..

لم يبق شيءٌ منك

---

[1]- المصدر نفسه، ص 346.

[2]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 346-347.

منذ استَعْبَدتْكِ دراهمي...[3]

هذه بعض من نماذج من صور المـرأة البغـي فـي شـعر نزار قباني، ومن هنا يمكن القول بـأنه قـد وُفّـق فـي رسـمها وتصـويرها تصـويرا واقعيـا بكافـة جزئياتهـا، وبكـل تفاصـيلها واختصاراتها، وبكل مواقفها، وبكل أبعادها، ليجعلنـا أمـا الأمـر الواقع، فإما أن نشفق ونَحِنُ عليها، لأنها مدفوعـة إلـى الأمـر دفعـا مـن الواقـع المريـر، أم نرجمهـا بسـبب أخطائهـا، لأنهـا مسؤولة على ما وقعت عليه، إلاّ أنّ فـي المقابـل كـان يجـب عليها أن تحافظ وتصـون شـرفها وشـرف قبيلتهـا، لأن هنـاك عدة طرق تجعلها تعيـش فـي العـزة والكـرم دون أن تعـرض جسدها للبيع.

[3]- المصدر نفسه، ص 347- 348.

رابعا: صورة المرأة العاشقة والمعشوقة عند نزار قباني :

يقول نزار قباني: « أنا شاعر قضية، المرأة جزء من هذه القضية، فالمرأة يمكن أن تكون وردة في ثوب سترتي، ولكنّها تتحوّل أيضا إلى سيف يذبحني المرأة عندي ارض ثورية ووسيلة من وسائل التحرير الاجتماعية التي يخوضها الوطن العربي اليوم ... إنَّني اكتب اليوم للمرأة، وعن المرأة لأنقذها من مخالب القبيلة ومن سيف أبي زيد الهلالي».[1]

إذن، هل نزار قباني حرَّر المرأة من قيود القبيلة القديمة؟ وهل أنقذها من جهلهم وتخلفهم؟. فقبل الإجابة عن هذه التساؤلات، نشير إلى اختلاف أراء النقاد حول حديث نزار قباني عن المرأة العاشقة أو المعشوقة، "فمن قائل أنه عراها وفصّل جسدها شلوا شلووا، ولم يأل في الحفاظ على كرامتها وماء وجهها الذي عفّره بالتراب، ومن قائل أن نزار كان رساليا في شعره، وما قام به هو محض تعرية للواقع العربي ولموقف الرجل الشرقي ورؤيته للمرأة، ورُبّ قائل أن الشاعر تطور في تعامله مع المرأة متساميا عبر الزمن إلى أن تعفّى عنها أهملها، وهناك فريق أخر يقول بأن المرأة كانت معادلا وسببا ووخزا لكتابة القصيدة«.[2]

ومن هنا يتضح لنا جليّا أن نزار قباني قد عرّ جسد وأعضاء ومفاصل هذه المرأة، من الشفة إلى الفم إلى الحلمة واليد والساق والنهدين...، وأكدَّ أنه لا توجد امرأة واحدة في شعره، بل هناك نساء تختلف الواحدة منهن عن الأخرى.

لذلك سنختار في دراستنا ها هنا بعض القصائد لتكون المادة التي نستند إليها، نأخذ المحطة الأولى: "(يوميات امرأة لا مبالية) هي مجموعة شعرية تمثل ضمير الأنثى في

[1]- نقلا عن: صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزا قباني، المرجع السابق، ص 56.
[2]- عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 103.

شعر نزار قباني، وتشمل على ست وثلاثين قصيدة (يومية)، يجريها الشاعر على لسان امرأة تتمرّد على قوانين الشرق.."[1].

يقدم الشاعر ليومياته قصيدة ((رسالة على رجل ما)): وهي قصيدة مطولة تروي من خلالها صورة المرأة المستسلمة في السجن الكبير الذي نسميه الشرق، وما تواجهه هذه الأنثى من معاناة.

يا سيّدي
أخافُ أن أقولَ ما لديَّ من أشياءْ
أخافُ - لو فعلتُ -
أن تحترق السماءْ..
فشرقكم يا سيّدي العزيزْ
يصادر الرسائلَ الزرقاءُ
يصادرُ الأحلامَ من خزائن على عواطف النساءْ
يستعمل السكِّينَ ..
و الساطورَ..
كي يخاطبَ النساءْ[2]

وتبدو المرأة مخلوقًا واعياً يعرف فهم الواقع ويمتلك الجرأة على تقزيم مملكة الرجال:

الرجل الشرقيّ
- واغفر جرأتي -
لا يفهم المرأة إلاَّ داخل السريرِ..
معذرة يا سيدي
إذا تطاولت على مملكة الرجال
فالأدب الكبير – طبعاً - أدب الرجالِ
و الحبُ كان دائماً
من حصَّة الرجالِ ..

[1]- صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزا قباني، المرجع السابق، ص 58.
[2]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 576.

و الجنس كان دائما
مخدِّراً يباع للرجالِ..[1]

ثم تنتقل إلى رحلة الكتابة، حيث تعبر عن مكبوتاتها وحاجتها النفسية، فهي تكتب للجميع، لا تكتب لقارئ محدد، ولكن سترضع حروفها اللامبالية من حليبها الأشقر، وحسبها أن تبوح ولا أكثر:

على دفتر
سأجمعُ كلَّ تاريخي
على دفترْ
سأرضع كلَّ فاصلةٍ
حليبَ الكلمةِ الأشقرْ
سأكتبُ . لا يهمُّ لمنْ ..
سأكتبُ هذه الاسطُرْ
فحسبي أن أبوح هُنا
لوجه البَوْح، لا أكثرْ
حروفٌ لامباليةٌ
أبعثرُها .. على دفتَرْ ..
بلا أملٍ بأن تبقى
بلا أملٍ بأن تُنْتَشَرْ[2]

لقد استطاع نزار أن يدخل شعره إلى سرير المرأة، ليلتقط من أعماقها وأنفاسها صرخة تمرّد وثورة، توجهها إلى كل أنثى تعاني مثلها:

لكل سجينةٍ.. تحيا
معي في سجني الأكبرْ
حروفٌ سوف أغرزُها بلحم حياتنا .. خنجَرْ
لتكسرَ في تمرُدها
جليداً كان لا يُكْسَرْ ..

---

[1]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 578 - 579.
[2]- المصدر نفسه، ص 583.

لتخلعَ قفلَ تابوتٍ
أُعِدَّ لنا لكي نُقبَرْ..[1]

وهنا قد تذهب به الجرأة في التعبير ويدخل إلى خبايا وأسرار ضمير المرأة الأنثوي، كما نراها تواجه جسدها الذي أخذ يثور عليها، حين يقول:

لمَنْ صدري أنا يكبرْ ؟
لمنْ .. كرَزَاتُهُ دارتْ ؟
لمنْ .. تُفاحُهُ أزهَرْ ؟
لِمنْ؟
صحنانِ صينيّانِ .. من صَدَفٍ ومن جوهَرْ
لِمَنْ ؟ قَدحانِ من ذهبٍ ..
و ليس هناكَ من يسكرْ؟
لمنْ شفةٌ مناديةٌ؟؟
تَجمَّدَ فوقَها السُكَّرْ
نزعتُ غلالتي عنّي
رأيتُ الظلَّ يخرجُ من مراياهُ
رأيتُ النهدَ كالعصفورِ .. لم يتعبْ جناحاهُ
تحررّ من قطيفته...
و مزَّقَ عنه ((تفْتَاهُ))[2]

فمهما كانت المرأة محرومة، إلا أنّ إحساسها بجسدها الظمأ لا ينتهي بها في مثل هذا الموقف المشين الذي وقعت فيه، كما نلاحظ أنه يدعو إلى كسر الحواجز بين الرجل والمرأة.

ومن الذي يحزن ويتألم لرؤية النهد قد استوى خلقا ؟
حزنتُ أنا لمرآهُ ..

---

[1]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 584.

[2]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 589– 591.

لماذا اللهُ كوَّرَهُ .. ودورَهُ .. وسوّاهُ ؟
لماذا الله أشقاني بفتنته .. وأشقاهُ؟[1]

وتواصل امرأة اليوميات بعرض معاناتها ومأساتها لتتوقف هنا مع أبيها الذي يستبد بها، وتتهمه بالأنانية والتعصب، كلما رأى نهدها ينمو ويستدير:

و علَّقه بأعلى الصدرِ
جُرحاً .. لستُ أنساهُ
لماذا يستبدُّ أبي؟
و يُرهقني بُسلطتهِ ..
و ينظرُ لي كآنيةٍ
كسطرٍ في جريدتِهِ
و يحرصُ أن أظلَّ له
كأنّي بعضُ ثروتِهِ
و أن أبقى بجانبهِ
ككرسيٌّ بحجرتهِ..
.....
أبي رجل أناني
مريضٌ في محبَّته
مريضٌ في تَعصَّبهِ
مريضٌ في تعنُّتهِ ..
يثورُ إذا رأى صدري
تمادى في استدارتِه[2]

أمّا هنا فهي في حالة وصف لنهديها المحرومتين موضحة بذلك الحواجز التي أتعبتها وأرهقتها وحرمت من عينيها النوم، ومشيرة بذلك إلى الاضطهاد الذي عانا منه.

أنا نهداي في صدري
كعصفورَيْنِ .. قد مانا من الحرِّ

---

[1]- المصدر نفسه، ص 591.
[2]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 592 - 593.

كقدَّيسَيْنِ شَرْقييْنِ متهميْنِ بالكُفْرِ ..
كم اضطهدا .. وكم جُلِدا
و كم رقدا على الجَمْرِ ..
وكم رفَضَا مصيرَهُما
و كم ثارا على القَهْرِ ..
و كم قطعا لجامَهُما
و كم هَربَا من القبرِ ..
متى سيُفكُّ قيدُهما
متى ؟ يا ليتني أدري ..[1]

أمّا هنا توازن هذه المرأة بين الذكر والأنثى، فإذا بالـذكر يعود من الماخور سكرانا مع الفجـر مـن دون عيـب، مفترقـا الآثام والفواحش، ليبقى الأجمل والأطهر والأغلـى فـي عيـون أهله:

يعود أخي من الماخُور..
عند الفجر سكرانا ..
يعودُ كَأنَّهُ السُّلطانُ ..
منْ سمّاهُ سُلْطاناً ؟.
و يبقى في عيون الأهل
أجمَلنا .. وأغلانا .. ويبقى – في ثياب العُهْرِ -
أطهَرْنا وأنقَانَا[2]

وفي يومية أخرى تنتظـر فـارس أحلامهـا الـذي سـيجيء على جواد أبيض لينتشلها مما هي عليـه، مخبـأة لـه محاسـنها ومفاتنها، ولكن للأسف هذا المكان مغلق:

متى يأتي ترى بَطَلِي؟
لقد خبأت في صدري لهُ، زوجاً من الحَجَلِ
و قد خبَّأتُ في ثغري
لهُ، كوزاً من العسلِ ..

---

[1]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 604.
[2]- المصدر نفسه، ص 612.

متى يأتي على فرسٍ لهُ، مجدولةِ الحُصَلِ
ليخطفني
..ليكسِرَ باب مُعْتَقَلي[1]

لتبلغ اليومية الأخيرة ذروتها، فتشنُّ حملة على خرافات الشرف وأساطيره.

تظلُّ بكارةُ الأنثى

بهذا الشرق عُقْدتَنَا وهاجِسنَا
فعند جدارها الموهوم قدَّمنا ذبائحَنَا ..
و أولمنا ولائمنَا ..
نحرنا عند هيكلها شقائقَنَا
قرابينًا.. وصِحْنا " وا كرامتَنا" [2]

وفي الأخير نستخلص أن هذه اليوميات هي لسان حال امرأة تبين موقفها من خلال الاستجابة لجسد يتفجر أنوثة ورغبة، فتحاول إطفاء شهوتها من خلال التعبير عنها على الورق، أو من خلال تخبئة جسدها.

أمّا المحطة الثانية: (قصائد متوحشة): تحتوي على 28 قصيدة، أول قصيدة بعنوان "اختياري"، وآخر قصيدة "حارقة روما".

قصيدة الديوان الأولى بعنوان" اختياري "

إني خيرتُك.. فاختياري
ما بينَ الموت على صدري
أو فوق دفاتر أشعاري
اختياري الحبَّ أو اللاحبَّ
فحين أن تختاري
لا توجدُ منطقةٌ وسطى
ما بينَ الجنةِ والنارِ ..[3]

---

[1]- نفسه، ص 617.
[2]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 639.
[3]- المصدر نفسه، ص 645.

فهنا يحكم الشاعر على محبوبته بالموت، فيـدعوها إلـى اختيار مكانه، ولا نعلم ما الموت الذي يريده، أهـو الحـب؟ أم اللاّحب؟

وفي القصيدة الثانية "قارئة الفنجان" الـتي أبـدع وتفنّـن فيها نزار قباني، وذلك من خلال مفرداتها وتعبيراتها، إذ رسـم لنا صـورة المـرأة مـن حيـث شـكلها، فهـي سـاحرة العينيـن، تفيض ضحكتها بموسيقى رائعة، إلاّ أنّهـا محبوسـة فـي قصـر مرصود، تحرسه الكلاب والجنود.

فحبيبةُ قلبك.. يا وَلَدي
نائمةٌ.. في قصرٍ مرصودْ
و القصرُ كبيرٌ .. يَا ولَدي
و كِلابٌ تَحرسهُ وجُنُودْ
و أميرةُ قلبكَ .. نائمةٌ
مَنْ يَدخلُ حجرتَها مفقودْ ..[1]

أمّا القصيدة الثالثة " القصـيدة المتوحشـة" فيرسـم لنـا الشاعر صورة المرأة المعشوقة التي يريدها فيقول:

أحبِّيني ... بلا عقدِ
وضيعي في خُطوطِ يدي
أحبِّيني لأسبوعٍ .... لأيامٍ ... لساعاتٍ
فلستُ أناً الذي يهتمّ للأبدِ[2]

كمـا أنـه يسـأل محبـوبته أن تحبّـه بكّـل تـوحش، وبكـلّ شراسة المطر، وبكلّ حـرارة الأدغـال، وبطهـارته وبأخطـائه، وبصحوه، كما يدعوها إلى السقوط عاريةً:

أنا تشرين... فانْسَحِقِي ..
كصاعقةٍ على جَسَدي ..
أحبِّيني ..
بكُلِّ توحُّشِ التّتَرِ ..

---

[1] - نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 650.
[2]- المصدر نفسه، ص 652.

بِكلِّ حرارة الأدغالِ
كل شراسة المطرِ
و لا تُبقي ولا تَذري..
و لا تتحضَّري أبداً
.....
أحبِّيني .. بطهري..أو بأخطائي
بصحوي .. أو بأنوائي
.....
تعَّرَيْ ..
و اسقُطِي مَطَراً
على عَطَشي وصحرائي ..[1]

وفي قصيدة "الخرافة"، يزعم شـاعرنا أن الإرشـاد إلـى مواطن الحلال والحرام بالمفهوم الـديني قـد شـوّه ومشـاعر أحاسيس الناس.

يوم كان العلم في أيَّامنا
فلقةَ تُمْسِكُ رِجْلَيْنا وشيخاً ... وحصيراً..
شوّهونا ..
شوّهوا الإحساس فينا والشُّعُورا...[2].

أما إذا أردنا أن نستزيد بنموذج أخر فنذكر قصيدة "إلى نهدين مغرورين"، والتي نجد فيها نزار قباني يمدح نفسه ويفتخر بها ويتعالى على المرأة المحبوبة، وهو المنقذ لنهدها من تسكّعه، ولولاه ما يعرف استدارة.

من حسنِ حظِّكِ ..
أن غَدوْتِ حبيبتي ..
زمناً قصيراً..
فأنا نفختُ النارَ فيكِ ..
و كنتِ قبلي زَمْهريرا ..

[1]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 652- 653- 656.
[2]- المصدر نفسه، ص 660.

و أنا الذي..
أنقذتُ نهدَكِ من تسكُّعِهِ
لأجعلهُ أميراً..
و أدْرتُهُ .. لولا يدايَ
أكانَ نهدُكِ مُسْتَديرا ؟ [1]

وفـي سـياق هـذا التأمـل بجـدر بنـا أن نقـف عنـد بعـض الاستفسارات التي أثـارت فينـا، وهـي:كيـف كـان شـكل نهـد المرأة ؟ هل على شكل مستطيل أم على شكل أخــر؟ وهــل عمل الشاعر على تكويره ؟

فنبدأ مع قصيدة " هامْلِتْ شاعِراً" مـن أبياتهـا الأخيـرة، قائلاً:

تعبتْ كفَّاي..يا سيِّدتي
و أنا أطرقُ بابَ المُستحيلِ..
فاعشقي كالناس .. أو لا تعشقي
إنَّني أرفضُ أنصَافَ الحلُولِ .. [2]

فأي نوع من العشق يريده الشـاعر ؟ ومـا هـي صـفاته؟ ومـا التقصير الذي أتعبه وأيأسه؟

رُبَّما سرتُ إلى حُبِّكِ معصوبَ العيونِ
و نَسْفْتُ الجسرَ ما بين اتِّزاني وجُنوني
أنا لا يمكن أن أعشقَ إلاَّ بجُنوني
فاقْبَليني هكذا ... أو فارْفُضِيني ...[3]

أم لأنّهــا رفضــت بربريــة الحــب أو أنّهــا أنكــرت عليــه إحساسه، وهذا أصـبحت فـي حيـاته نجمـة، أو وردة، وليسـت شيء آخر.

أن تكوني في حياتي المُقْبلهْ
نجمةً .. أو وردةً .. أو سُنْبُلهْ

---

[1]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 661- 622.
[2] - المصدر نفسه، ص 680.
[3] - نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 679.

تلكَ .. تلكَ المشكِلهْ [1].

وفـي الأخيـر نختـم رحلتنـا مـع ((القصـائد المتوحشـة)) بقصيدة "إلى رَجُل..." والتي تعتبر من أروع وأفضل القصــائد فـي شـعر نـزار، حيـث وُفـق فيهـا فـي رسـم صـورة المـرأة المرهفة والعاشقة المليئة بالإحساس واللهفة:

متى ستعرف كم أهواكَ ... يا رَجُلاً
أبيعُ من أجْلِه الدُنيا .. وما فيها
.....
لو تطلبُ البحرَ .. في عينيْك أسكُبُهُ
أو تطلبُ الشمسَ .. في كفَّيْكَ أرميها
أنا أحبُّك . فوق الغَيْم أكتُبُها
و للعصافير، والأشجارِ. أحْكيها
أنا أُحِبُّكَ . فوقَ الماء أُنْقُشُها
و للعناقيدِ .. والأقداحِ .. أسقيها ..[2]

إذ نلاحظ هنا مدى حـب وعشـق هـذه المـرأة لمحبوبهـا، ومدى تعلقها به لدرجة الجنون، فتكتـب حروفـه فـوق الغيـوم والمياه، وتحكي قصتها للعصافير والأشجار.

فهذه المرأة المثالية التي تستغيث بمحبوبها، وترجو منه إطفاء النار التي أشعلها فيها.

أنا أحبُّك، يا سيفًا أسالَ دمي
يا قصَّة لست أدري .. ما أسميِّها
أنا أحبُّكَ . حاولْ أن تساعدَني
فإنَّ من بدأ المأساةَ .. يُنْهِيها
و إنَّ مَنْ فتح الأبوابَ .. يُغلِقُها
و إنَّ مَنْ أشْعَلَ النيرانَ .. يُطفيها [3]

---

[1]- المصدر نفسه، ص 677.
[2]- نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 719.
[3]- المصدر نفسه، ص 720.

كمـا نجـدها أيضـاً نمـوذج للعاشـقة الطيّبـة الـتي تتسـم بالتسامح والغفران، وذلك بالرغم من إساءة محبوبها عليها.

إرجعْ إليَّ .. فإنَّ الأرض واقفةٌ
كأنَّما الأرضُ فرَّتْ منْ ثوانيها ..
إرجعْ .. فَبَعْدَكَ لا عِقْدٌ أُعَلِّقُه
و لا لمست عُطُوري في أوانيها ..
لِمَنْ جمالي؟ لِمَنْ شالُ الحرير؟ لِمَنْ ؟
ضفائري منذُ أعوامٍ أربِّيها ؟
إرجع كما أنتَ . صحواً كُنتَ أم مطراً
فما حياتي أنا .. إنْ لم تكنْ فيها ؟ [1]

وهنا نستخلص أن نزار قباني لم يخرج عن صورة المرأة المثالية والواقعية في التراث العربي القديم، حيث تفنـن فـي تصوير هاته المرأة بأجمل الصور، وأعطى لهـا مكانـةً وأهميـةً بالغةً في شعره وقصائده المشهورة.

[1] - نزار قباني، الأعمال الكاملة، ج 1، المصدر السابق، ص 721.

خاتمة

وفي الأخير يتخلص مضمون هذا البحث المقدم بعنـوان: "المرأة بين المثال والواقع في شعر نزار فبـاني مقاربـة فـي الملامح والأنساق " في استنتاجات أهمها:

1- تواجد صورة المرأة في الشعر العربـي القـديم، وخاصـة الجـاهلي، وتواجـدها كـذلك فـي الشـعر العربـي الحـديث والمعاصر إلا أن الرؤيا اختلفـت، فالشـاعر القـديم لـه رؤيتـه

وللشاعر الحديث والمعاصر رؤيته، ولكل طريقته في التعـبير عن صورة المرأة المثال بملامحها الجسدية والمعنوية.

2- تركيز شعراء المرأة المثال على كل الصفات التي تجعل امرأة مقدسة قديسة، بحيث شبهت بالعديـد مـن التشـبيهات مثل الشمس الضبية، المهاة، النخلة ...

3- تعتبر صورة المرأة الواقعيـة عنـد شـعراء الحـس اللاهـي أكبر ممتعة من متع الحياة ومظهرا من مظاهر الفتنة.

4- يعد نزار قباني من كبار الشعراء العرب المعاصرين، الذي كُتب اسمه من ذهب في كتاب الحياة، كما يعد شاعر المـرأة بامتياز، لم يتشبه بأحد ولم يقلد أحد أبدا.

5- حُظـيَّ نـزار قبـاني بمكانـة وبشـعبية مرموقـة، وبنجوميـة شعرية كبيرة التي لم يحظى بها شاعر عربي قط، لـذا يعتـبر شعره من أجمل ما قيل في الغزل العربي، وستبقى أشـعاره خالدة ترددها الشفاه لعقود قادمة.

6- جعل كل مـن المـرأة الأم والمـرأة الزوجـة مثـالا مقدسـا ويتمثل في الشمس والغزالة والنخلة.

7- رسم نـزار المـرأة لوحـة فنيـة جميلـة، وقنبلـة تصـويرية، اكتسبها الشعر العربي وزخر بها.

وخاتمة القول نسال الله أن تكون هاته الدراسة، قد سدت ثغرة من ثغرات الدراسات التي تناولت شعر نزار قباني.

الملحق

يعتبر الشاعر نزار قباني نـزار كبـار الشـعراء المجـدّدين في الأدب العربي المعاصر، لذا تعد تجربته الشعرية من أكـثر تجارب شعراء هذا العصر، وذلك لما تحمله من خبايا وأسـرار وإثارة وجدل.

في بيت من بيوت دمشـق القديمـة الخالـدة، ومـع ولادة الربيع ولد نزار قباني، فيقول عـن ولادتـه: " يـوم ولـدتُ فـي 21 آذار (مـارس) فـي 1923 فـي بيـت مـن بيـوت دمشـق

القديمة، كانت الأرض هي الأخرى في حالة ولادة.. وكان الربيع يستعد لفتح حقائبه الخضراء، الأرض وأمي حملتا في وقت واحد.. ووضعتا في وقت واحد ".[1]

كان مسقط رأسه يقع في (مئذنة الشحم) التابعة لحي (الشاغور)، أحد أحياء دمشق الأصلية القديمة، لأب فلسطيني الأصل، وأم دمشقية، حيث ترعرع في عائلة متوسطة الحال من طبقة اجتماعية بسيطة، تتكون من بنات وبنين وهم (معتز، ورشيد، وصباح، ووصال، وهيفاء)، وفي تشكيله العائلي كان الابن الثاني من بينهم.

أمّا والده توفيق قباني كان يعمل بصناعة الحلويات وتجارتها في أحد أسواق دمشق، فكان يمول الثوار ويساعدهم ضد الاحتلال الفرنسي، فيقول عنه :" وإني لأتذكر وجه أبي المطليّ بهباب الفحم، وثيابه الملطخة بالبقع والحروق كلما قرأتُ كلام من يتهمونني بالبورجوازية والانتماء إلى الطبقة المرفهة، والسلالات ذات الدم الأزرق... إن دمي ليس ملكياً، ولا شهانياً، وإنّما هو دم عادي كدم آلاف الأسر الدمشقية الطيّبة التي كانت تكسب رزقها بالشرف والاستقامة والخوف من الله.." [2]

ويصف ملامحه قائلاً: عيناه الزرقاوان كانتا صافيتين كمياه بحيرة سويسرية وقامته مستقيمة كرمح محارب روماني وقلبه كان إناء من الكريستال يتسع للدنيا كلها..".[3]

كما كان نزار مولعاً بتفكير أبيه الثوري، مما ترك فيه أثراً كبيراً في شخصيته على حد قوله:" كان تفكير أبي الثوري يعجبني .. وكنت أعتبره نموذجاً رائعاً للرجل الذي يرفض الأشياء المسلم بها، ويفكر بأسلوبه الخاص.. بالإضافة إلى شبهي الكبير له بالملامح الخارجية، فقد كان شبهي له بالملامح النفسية أكبر.. وإذا كان كل طفل يبحث خلال

---

[1]- نزار قباني، قصتي مع الشعر، ص 25.
[2]- المصدر نفسه، ص 29.
[3]- نفسه، ص 77.

مرحلة طفولته عن فارس، ونموذج وبطل.. فقد كان أبي فارسي وبطلي.. ومنه تعلمت سرقة النار.."[1].

وأم نزار كانت تحبه ومتعلقة به تعلقاً شديداً، فلم يفارق حضنها حتى السابعة من عمره، وظلّت تطعمه بيدها وهو ابن الثالثة عشر على حد قوله: " أما أمي كانت ينبوع عاطفة يعطي بغير حساب، كانت تعتبرني ولدها المفضل، وتحضني دون سائر إخوتي بالطيِّبات، وتلبي مطالبي الطفوليَّة بلا شكوى ولا تذمر، ولقد كبرت، وظَلَلْتُ في عينيها دائما طفلها الضعيف القاصر، ظَلَّتْ تُرضعُني حتى سن السابعة وتطعمني بيدها حتى الثالثة عشرة".[2]

وفي الحديث عن أسرته الدمشقية التي سكنها في طفولته، فكان لها أثر كبير في نفسيته، وفتحت له مواهب فنية متعددة من شعر وموسيقى وتمثيل، فيصفها وصفاً دقيقاً فيقول:" بوابة صغيرة من الخشب تنفتح ويبدأ الإسراء على الأخضر والأحمر وتبدأ سيمفونية الضوء والظل والرخام".[3]

أمّا عن تحصيله العلمي والأكاديمي فقد تدرج في تحصيل معارفه الأولى بمدارس الحي التي كان لها الدور الفعال في صقل موهبته الشعرية حيث حفظ قصائد عديدة فيقول: " حفظت قصائد عمر بن كلثوم، وزهير، والنابغة الذبياني، وطرفة بن العبد.." [4]، وكانت مدرسته الأولى هي (الكلية العلمية الوطنية) بدمشق التي كانت ذات المستوى الرفيع آنذاك، وقد دخلها وهو في السابعة من عمره، وتخرج منها في الثامنة عشرة، وهو حامل شهادة البكالوريا الأولى في (القسم الأدبي)، وبعدها تحصلّ على الشهادة الثانية التي كانت في مجال الفلسفة.

---

[1]- نزار قباني، قصتي مع الشعر، المصدر السابق، 80.
[2]- المصدر نفسه، ص 77.
[3]- نفسه، ص 31.
[4] - نفسه، ص 35.

وفـي عـام 1945 تحصـل علـى شـهادة الليسـانس فـي الحقــوق مــن جامعــة دمشــق، إلاّ أنــه لــم يمــارس مهنــة المحامات، لأنه اعتبرها مفتـاح عملـي فـي المسـتقبل فقـط، وقد أتقن ثلاث لغات اللغة العربية لغته الأم، واللغة الفرنسية التي كانت لغتـه الثانيـة، واللغـة الانجليزيـة الـتي تعلمهـا فـي موطنها، أثناء عمله في السـفارة السـورية فـي لنـدن عـام (1952-1955).

ومن ثم أنهى تعليمه الجامعي بوزارة الخارجية السورية، وشغل عددا من المناصب الدبلوماسية فـي عـدد مـن الـدول العربيـة والأجنبيـة، منهـا القـاهرة، وأنقـرة، ولنـدن، وبيـروت وغيرهـا مـن الـدول، فقـال: "حيـن انضـممت إلـى السـلك الدبلوماسي فـي شـهر آب (أغسـطس) 1945...كنـت فـي الثانية والعشـرين مـن عمـري، يـوم عُيِّنـتُ ملحقـا بالسـفارة السورية في القاهرة، وحين ارتفعت الطائرة بي تاركة خلفهـا مآذن دمشق، وقبابها، وبسـاتينها، شـعرت أننـي أنفصـل عـن جاذبية الأرض، وجاذبية التاريخ....".[1]

وبعدها استقل نزار من عمله الدبلوماسـي فقـال:" فـي ربيع عام 1966، أن تقتل اللغة الدبلوماسية... وتعيـد نفسـي المشطورة نصفين إلى التصاقها وتوحدها.. إن استقالتي مــن عملي الدبلوماسي، عام 1966، كـانت إنقـاذاً للرجـل الثـاني الذي كادت تطحنه عجلات السيارات الطائشة والخارجة دائما علـى القـانون.. والـتي تحتمـي بلوحـة كُتـب عليهـا: (هيئـة سياسية)، وحين جلست على طاولة مكتـبي فـي بيـروت بعـد إنهاء حياتي الدبلوماسية وأشعلت أول لفافة، شعرت بكبريـاء ملك يستلم السلطة للمرة الأولـى"،[2] ثـم أسـس داراً للنشـر لأعماله في بيروت تحمل اسمه، وأصدر 35 مجموعة شـعرية بـدءاً بـديوانه الأول فـي عـام 1944 (قـالت لـي السـمراء)،

---

[1]- نزار قباني، قصتي مع الشعر، المصدر السابق، ص 104.
[2]- المصدر نفسه، ص 109- 110.

وبعدها ديوانه الثاني (طفولة نهد) في عام 1948، وفي عام 1949 أصدر ديوانه الثالث (سامبا)، وفي عام 1950ديوان (أنت لي)، ثم ديوان (قصائد) في عام 1956.

تزوج نزار قباني مرتين الأولى كانت من سيدة دمشقية تسمى (زهرة أقبيق)، وأنجب منها "هدباء وتوفيق"، لتنتهي حياتهما بالطلاق، وفي عام 1970 يعيد الزواج من سيدة عراقية هي بلقيس الراوي التي كانت تعمل في السفارة العراقية ببيروت، وقد أنجب منها زينب وعمر، وبعدها توفيت في حادث انفجار السفارة العراقية عام 1981.

فنظم نزار حول هذه المرأة التي أحبها كثيرا وجعلها وطنه " مرثية " التي مازالت تثير الجدال، والتي كتبها بحرقةٍ وحزنٍ وألمٍ كبير، وذلك لتأثره بفقدان حبيبته التي اغتيلت غدرًا.

وفي عام 1998م وافته المنية عن عمر يناهز 75 سنة في لندن، وذلك بعد تدهور وضعه الصحي في عام 1997م، ودُفن في مسقط رأسه دمشق تنفيذا لوصيته.

أعمال نزار قباني الشعرية:

قالت لي السمراء 1944
طفولة نهد 1948
سامبا 1949
أنت لي 1950
قصائد 1956
حبيبتي 1961
الرسم بالكلمات 1966
يوميات امرأة لا مبالية 1968
قصائد متوحشة 1970
كتاب الحب 1970
أشعار خارجة على القانون 1972

أحبك .. أحبك والبقية تأتي 1978
إلى بيروت الأنثى مع حبي 1978
مئة رسالة حب 1970
كل عام وأنت حبيبتي 1978 [1]

الأعمال السياسية: 1967-1977
لا 1970
أشهد أن امرأة إلا أنت 1979
هكذا أكتب تاريخ النساء 1981
قصيدة بلقيس 1982
الحب لا يقف على الضوء الأحمر 1985
سيبقى الحب سيدي 1987
الأوراق السريّة لعاشق قرمطي 1988
قصائد مغضوب عليها 1986
تزوجتك أيتها الحرية 1988
الكبريت في يدي ودويلاتكم من ورق 1989
لا غالب إلاّ الحب 1990
هل تسمعين صهيل أحزاني 1991
هوامش على الهوامش 1991 [2]

الأعمال النثرية:
الشعر قنديل أخضر 1963
قصتي مع الشعر 1970
عن الشعر والجنس والمرأة والثورة 1971
المرأة في شعري وحياتي 1975
ما هو الشعر 1981
العصافير لا تطلب تأشيرة دخول 1983
جمهورية جنونستان (المسرحية) 1988
لعبت بإتقان وها هي مفاتيحي 1990[3].

---

[1] - صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، ص 38.
[2]- صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، المرجع نفسه، ص 38- 39.
[3] - صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزار قباني، المرجع السابق، ص 39.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم: برواية حفص، نال شـرف كتـابته الخطـاط عثمان طه، دار غرين غلوري، بيروت – لبنـان، ط 1ـ 1434-2013م.

أولاً: المصادر:

-ابن الانباري، ابن أبي بكـر بـن قاسـم، شـرح القصـائد سـبع الطوال الجاهليات، ضبطه وعلق حواشيه وصنع فهرسه وقدم له (بركات يوسف مجود)، المكتبة العصرية صيدا، بيـروت، ط 1، 1423هـ- 2002 م.

-ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق ونشر محي الدين عبد الحميد، دار الجليل، بيروت، ج 2، ط 4، 1972م.
-ابن منظور، لسان العرب، المجلد 13، دار الصادر، بيروت، ط 1، 1410 ه، 1990م.
-ابن منظور، لسان العرب، المجلد 14، محققة دار الصادر، بيروت- لبنان، طبعة جديدة، 1823م.
-أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، أسباب النزول، منشورات دار مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، (د. ط)، (1991م).
-أبي محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، الشعر والشعراء، دار الصادر- بيروت، طبع في مدينة ليدن المحروس بمطبعة بريل سنة 1902م.
-الأعشى الكبير، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق د.محمد حسين، مصر،(د.ط)، 1950م.
-الأعشى الكبير، شرح ديوان الأعشى الصبح المنير في شعر أبي بصير، بيانه وديوانه وتحقيقه د (م.حسين)، نشر مكتبة الآداب بالجماهير، ط 1، (د.ت).
-الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحي، المؤتلف والمختلف، القدسي، ط 2، 1254ه.
-امرئ القيس، ديوان امرئ القيس، حققه وبوبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته (حنا الفاخوري)، دار الجيل، ط 1، 1309ه - 1989م.
-بشر بن أبي خازم الأسدي، الديوان، تحقيق دكتورة (عزة حسن)، دمشق، ط 1، 1970م.
-الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي تفسير القران العظيم، دار الطيبة للنشر والتوزيع،

تحقيق: سامي محمد السلامة، المملكة العربية السعودية، المجلد الأول، ج 1،ج 2، ط 1،1997، ط 2، 1999م.
-الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة، المكتب الإسلامي، تحقيق: شعيب أرنؤرط، زهير الشاويش، بيروت، المجلد 3، ط 2، 1983 م.
-طرفة بن العبد البكري، ديوان طرفة بن العبد البكري، تحقيق درية خطيب ولطفي السفال، دار الكتاب الجديد، ط 1، 1958م.
-علقمة بن عبدة التميمي(الفحل)، ديوان علقمة بن عبدة التميمي، شرح الأعلم الشمنتري، الجزائر، ط 1، 1925م.
-علي بطل، الصورة في الشعر العربي حتى أواخر القرن الهجري ودراسة في أصولها وتطورها، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط 2، 1401ه_1981م.
-عنترة العبسي، الديوان، دار الصادر، بيروت، ط 1، 1958 م .
-لبيد ابن أبي ربيعة العامري، الديوان، تحقيق وتقديم (إحسان عباس)، الكويت، (د.ط)، 1962م.
-مجدي وهبة وكامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، (دط)، (دت).
-النابغة الذبياني، ديوان النابغة الذبياني، اعتنى به وشرحه، حمدُو طماس، دار المعرفة للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 2، 1426 ه - 2005م.
-ناصر الدين الأسد، القيان في الشعر الجاهلي، دار المعارف بمصر مكتبة الدراسات الأدبية طبعة منقحة مزيدة ط 1، بيروت 1920م.
-نزار قباني، أحلى قصائدي، منشورات نزار قباني، بيروت، (د.ط) سنة 1980.

قائمة المصادر والمراجع

-نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، ج 4، بيروت - لبنان، ط 2، أغسطس 1998.
-نزار قباني، الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، ج2، بيروت، ط12، سنة 1983.
-نـزار قبـاني، الأعمـال الشـعرية الكاملـة، منشـورات نـزار قباني،ج 1، بيروت - لبنان، (د.ط)، (د. ت).
-نزار قباني، المرأة في شعري وفي حياتي، بيـروت، (د ط)، 1981/9/ 15.
-نزار قباني، أنا رجل واحد وأنت قبيلة من النساء، منشـورات نزار قباني، لبنان، (د.ط)، سنة 1993.
-نزار قباني، خمسون عاما في مديح النساء، منشـورات نـزار قبـاني، بيـروت، ط 2، سـنة 1998. - نـزار قبـاني، تنويعـات نزاريـة علـى زمـن العشـق، منشـورات نـزار قبـاني بيـروت، (د .ط)، سنة 1998.
-نزار قباني، قصتي مع الشعر،منشـورات نـزار قبـاني،(دط)، (دت).
-نزار قبـاني، هـل تسـمعين صـهيل أحزانـي، منشـورات نـزار قباني، بيروت- لبنان، ط 4، سنة 1998.
-نزار قباني،كل عـام وأنـت حبيبـتي، منشـورات نـزار قبـاني، بيروت ط 4، (دت).
-يوسف الحناشي، مقومـات الـذوق الجمـالي العربـي، مركـز النشر الجامعي، (د.ط)، 2002م.

ثانياً: المراجع:

-أبو عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، شرح المعلقات السبع، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، (د.ت).
-أحمد حيدوش، شعرية المرأة وأنوثة القصيدة، قراءة في شعر نزار قباني، من منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق)، (د.ط) ،2001 م .
-أحمد محمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار الفكر العربي، القاهرة،، (ط 2)، 1963م.
-أم سهام، جولة مع القصيدة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1986.
-إميل ناصف، أروع ما قيل في جمال المرأة، دار الجيل، بيروت،(د.ط)، (د.ت) .
-بهي الدين زيان، الشعر الجاهلي وتطوره وخصائصه الفنية، دار المعارف، القاهرة، (د.ط)، 1982.
-حبيب بروين، تقنيات التعبير في شعر نزار قباني، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،(د.ط)، 1990م.
-خريستو نجم، النرجسية في أدب نزار قباني، دار الرائد العربي، بيروت، (ط 1)، 1983م.
–خليل شرف الدين، الموسوعة الأدبية الميسرة (9) الأعشى (يبصر ليلاً)، دار مكتبة الهلال، بيروت - لبنان، ط جديدة منقحة، 1992م.
-خليل محمود عودة، صورة المرأة في شعر عمر بن أبي ربيعة، دار الكتب العلمية، بيروت (لبنان)، ط 1،1998 م.
-صلاح الدين الهواري، المرأة في شعر نزا قباني دراسة نقدية دار البحار، بيروت - لبنان، (ط 1)، 2001م.
-عبد الرحمن بدوي، موسوعة الفلسفة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،ج 2، بيروت، (ط)1، 1984م.

-عبد الهادي بلمهل، تيمة المرأة في شعر نزار قباني مقاربة في الملامح والأنساق، دار النشر نور، (د.ط)، سنة 2017.
-محمد الأزهر باي، حسان بن ثابت شاعر الجاهلية والإسلام، مركز النشر الجامعي، تونس، (د.ط)، 2005م.
-محمد الزينو السلوم، أعمال الشاعر نزار قباني بين قوسي قزح، دراسة الأعمال الشعرية الكاملة، وما قاله بعض النقاد عن نزار وأشعاره... (دراسة تحليلة)، المجلد الأول،ج 1، (د.ط)، (د ت).
-محمد الغزالي، د. محمد سيد طنطاوي، د. أحمد عمر هاشم، المرأة في الإسلام، مطبوعات أخبار اليوم الإسلامية، (د.ط)، (د.ت).
-منذر ذيب كفافي، الشعر الجاهلي في كتب المختارات الشعرية، دراسة في شكل والمضمون، جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، عمان، مقابل جوهرة القدس، (ط 1)، 2006م.
-يوسف خليف، الحب المثالي عند العرب، دار القبة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة عبده الغريب، (د.ط)، (د.ت).

ثالثاً: الدوريات:

-محمود كحيل، المثال أو النموذج بين الإنساني والإلهي في فكر الحضاري القديم، عالم الفكر للنشر والتوزيع، مجموعة 21، العدد 1، 2002م.
-هوارية لولاسي، المعتقد الديني في الشعر الجاهلي، مجلة حوليات التراث العدد 1، مستغانم، 2004.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

كلمة شكر وعرفان
الإهداء
مقدمة.....أ
الفصل الأول: صورة المرأة بين المثال والواقع في الشعر العربي القديم
أولاً: صورة المرأة المثالية في الشعر الجاهلي 06
1-مفهوم المثالية في اللغة والاصطلاح.....09
أ/ مفهوم المثالية لغةً.....09
ب/ مفهوم المثالية اصطلاحاً.....10
2/ لوحة فنية شعرية لصورة المرأة المثال في الشعر الجاهلي.....13
أ / صورة المرأة المادية.....13
ب / الصورة الأخلاقية للمرأة.....17
ثانياً: صورة المرأة الواقعية في الشعر العربي القديم.....18
أ/ مفهوم المرأة الواقعية.....18
ب/ صور المرأة الواقعية.....19

فهرس الموضوعات

أولاً:
القيان.....
.....19
مفهوم القيان لغةً .....
19 مفهـــــــــــــوم القيـــــــــــان
اصــطلاحاً.....
20
القيان في الشعر الجاهلي.....
21
ثانيا: الزوجة المناكدة.....
22
ثالثاً: لوحة فنية شعرية لصورة المرأة الواقعية.....
23
الفصل الثاني: صورة المرأة في شعر نزار قباني
أولاً: صورة المرأة في القرآن الكريم.....
28
ثانيـــــاً: صـــــورة المـــــرأة فـــــي شـــــعر نـــــزار
قباني.....34
ثالثا: المرأة الأم في شعر نزار قباني.....
40
رابعاً: المرأة الزوجة في شعر نزار قباني..... ...
48
الفصل الثالث: صورة المرأة بين المثالية والواقعية في شعر نزار قباني
أولاً: المرأة المثالية في شعر نزار قباني.....
55
ثانياً: المرأة الواقعية في شعر نزار قباني.....
59

فهرس الموضوعات

ثالثاً: المرأة البغي عند القباني.. 64
رابعاً: صورة المرأة العاشقة والمعشوقة عند نزار قباني...... 75
خاتمة.. 90
الملحق.. 92 ....
قائمـــــــــــــــــــــة المصـــــــــــــــــــــادر والمراجــع... 99
فهـــرس الموضوعات.. 105